

الإنحاء ومكانة التَّغْيِيرُ الْلُّغُوِيُّ في المعجم التَّارِيْخِيِّ لِلْغُوْرِي

د. متصرِّفُ أمين عبد الرحيم
جامعة الطائف - السعودية

مقدمة

لما كان «التَّغْيِيرُ» سمة عامة، لكل لُغَةٍ منه نصيبٌ يزيد وينقص، فقد استدعت مقارنته البحث عن جهاز تفسيريٍّ يُخْضِعُ التَّغْيِيراتَ المختلفة التي تصيب أَلفاظَ اللُّغَةِ وتراكيبها ودلاليتها وظائفها لقوانين تحكمها وتبرر أحواها ومصائرها، وما لا شك فيه أنَّ صناعة معجمٍ تارِيْخِيٍّ لِلْغُوْرِيَّةِ - يتعقب تغييرات أَلفاظها وتراكيبها ومعانيها في مراحلها الزَّمانيةِ وبقاعها المكانية المختلفة - تتطلَّب باتفاقِ العجميين المختصين توجيه العناية إلى الدراسات اللُّسانية التَّارِيْخِيَّةِ لاسيما التي تهتم بدراسة التَّغْيِيرُ الْلُّغُوِيُّ وتحاول الوصول إلى الأسباب (اللُّغُوِيَّةِ وغير اللُّغُوِيَّةِ) التي تقف وراء تلك التَّغْيِيرات؛ ذلك أنَّ أَغلب الخطط الموضوعة من أجل بناء المعجم المنشود لم تقدم حديثاً مفصلاً حول ظاهرة التَّغْيِيرُ الْلُّغُوِيُّ، يقول الدكتور علي القاسمي: «إنَّ كتاباتنا الراهنة عن صناعة المعجم التَّارِيْخِيِّ لِلْغُوْرِيَّةِ لا تتناول قضية التَّغْيِيرُ الْلُّغُوِيُّ بصورة وافية، وتغفل ضرورة أن يزودنا المعجم التَّارِيْخِيِّ بالأسباب التي أدت إلى وقوع التَّغْيِيرُ في مبني اللُّفْظِ أو معناه أو استعماله، والقوانين العلمية التي تحكم ذلك التَّغْيِيرُ⁽¹⁾، ولعل التَّأكيد على تضمنُ المعجم التَّارِيْخِيِّ المنشود معلومات حول أسباب التَّغْيِيرُ

(1) دراسة على القاسمي: معاجلة قوانين التَّغْيِيرُ الْلُّغُوِيُّ في المعجم التَّارِيْخِيِّ، ص. 182. ضمن كتاب المعجم التَّارِيْخِيِّ لِلْغُوْرِيَّةِ: روئي وملامح، إعداد متصرِّفُ أمين عبد الرحيم، ود. خالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2016 ص. 159-196.

اللغوي والقوانين التي يلبيها أو تضبّطه هو تأكيد على الوظيفة التفسيرية أو قل الجانب التبريري من هذا المعجم حيث "تمثّل وظيفته الأساس بإبراز مراحل التَّطُور الشَّكلي والدَّلائِي وتبريرها"⁽²⁾؛ ومن ثمَّ كانت حاجة المعجم إلى دراسات لسانية تاريخية تستطيع أن تقدّم له ظواهر التَّغْيير اللُّغوي المختلفة مدروسة بالجهاز المفاهيمي والاصطلاحي الذي يمكنه من تبرير مثل تلك الظواهر.

الإنحاء: المفهوم والمصطلح

لقد أشارت الخطة التي وضعها القاسمي للمعجم التارخي للغة العربية إلى مبحث مهم من مباحث اللسانيات التارخية يتصل بصورة أساسية بدراسة التَّغْيير الذي يطرأ على نوع المفردات اللُّغوية أطلق عليه "إضفاء النحوية"، فالمفردات في اللغة تُقسّم إلى مفردات معجمية تحمل معنى كاملاً مستقلاً مثل: (كرسي)، (رجل)، (سماء)، ومفردات نحوية، لا تحمل مضموناً خارجياً بل مضموناً قواعدياً مثل: (أَل)، (قد)، (قط)، ويدرس "إضفاء النحوية" تحول الصّرفيات المعجمية إلى صرفيات نحوية خلال حقبة معينة من الزّمن⁽³⁾. وأظن هنا أنَّ القاسمي قدّم "إضفاء النحوية" - ربما بناء على ما ورد في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات - مقابلًا عربيًا لمصطلح "الإنحاء"

(2) عبد الرزاق بنور 2014: التلازم الدلائي والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تارخي للغة العربية»، الدّوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، ص 114. وقد ضرب الباحث عدة نماذج من المعاجم التارخية السابقة تؤكّد على الوظيفة التبريرية للمعجم، فذكرت أنَّ المعجم التارخي الفرنسي "لم يكتف بعرض فعل voler باعتباره من المشترك اللغظي كما عرضه معجم الأكاديمية الفرنسية بمدخلين، أحدهما بمعنى «سرق» والثاني بمعنى «طار»، أو متعدد الدلالات كما تقدّمه المعجم اللُّغوي الأخرى ... بل فسر بالتفصيل كيف انتقل فعل voler من ميدان الصيد والتنص بالبازى إلى ميدان السُّطو والسلب، ولم يكتف المعجم التارخي الإنجليزي OED بعرض معانٍ Bit من معنى القسم to bite. انظر: المرجع نفسه، ص 119.

(3) علي القاسمي: صناعة المعجم التارخي للغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطّبعة الأولى، 2014، ص 75.

(⁴) فحديثه دالٌّ بوضوح على أنه مجال بحثي يدرس التَّغْيُّر Grammaticalization الذي يطأ على نوع المفردات بصفة عامة أو تحول الصرفيات المعجمية إلى صرفيات نحوية بصفة خاصة، وأنه من الأهمية بمكان أن يرصد المعجم المنشود هذه التَّحُولات بعد أن تخضع مقاربتها لبحث لساني يعي التضمينات النظرية التي يقوم عليها الإناء وأهم المبادئ التي يتأسس عليها وتحكم في مساراته؛ لذا وجدت من الواجب أن يعرف بحثي هذا بذاك المجال الجديد نسبياً في سياق اللسانيات العربية؛ أسسه ومبادئه وفرضياته، وأن يشير إلى بعض الأمثلة العربية التي ينطبق عليها، وأن يبين علاقته بالمعجم التارخي للغة العربية في محاولة تمهيدية متواضعة يمكن استثمارها فيما بعد بصيغة أفضل اتساقاً وأشد تناسقاً.

بدايةً أود الإشارة إلى أن "الإناء" يشير إلى تحول المفردة من المعجمية إلى النحوية (وهو ما تعبّر عنه بعض الدراسات بالمصطلح ⁽⁵⁾ Grammation)، ويشير أيضاً إلى تحول المفردة من درجة نحوية معينة إلى درجة أعلى (ويشار إلى هذا بالمصطلح ⁽⁶⁾ Regrammation)؛ ومن ثم تم تفريع الإناء إلى صفين هما:

(4) انظر مكتب تنسيق التَّعرِيب 2002: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 64 المصطلح رقم 698، حيث ذكر تعريفه التالي: «تغَيير صنف المقوله، في اللسانيات الرَّزمية، حين تتحول صرفة معجمية إلى صرفة نحوية خلال تطور لغة معينة». والحقيقة أنَّ لهذا المصطلح عدة بدائل لم يذكرها المعجم منها (Grammatization) (Grammacization) (Grammatization) أوسع انتشاراً واستعمالاً في هذا السياق بعيداً عن هذه الاعتبارات.

(5) ويقصد بذلك التَّغَيير الذي يحمل بمقتضاه التَّغيير مضموناً نحوياً، وذلك قياساً على مصطلح ياكوبسون Phonologization Jakobson, 1931 حيث يتحول الصوت وفق هذا التَّصور إلى جزء فوني米 في الجدول الفونولوجي. انظر:

Henning Andersen 2008: Grammaticalization in a Speaker-Oriented Theory of Change.
p.19 in Þórhallur Eyþórsson 2008: Grammatical Change and Linguistic Theory.
Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

(6) ويقصد به ذلك التَّغَيير الذي يكتسب به التَّعبير النَّحوي مضموناً نحوياً مختلفاً. وذلك قياساً على مصطلح ياكوبسون Rephonolization حيث يغير نمط صوت معين علاقته بالфонيات؛ وبذلك يتحول من جدول فونولوجي إلى آخر مختلف. انظر: Henning Andersen 2008: Op. cit. p.21, 19

"الإِنْحَاءُ الرَّئِيْسِيُّ" (Primary Grammaticalization) وهو التَّغْيِيرُ من عنصرٍ معجميٍّ إلى عنصرٍ نحوِيٍّ، و"الإِنْحَاءُ الثَّانِيُّ" (Secondary Grammaticalization) وهو التَّغْيِيرُ من عنصرٍ نحوِيٍّ إلى عنصرٍ أكثرَ نحوِيَّةً، وهذا هو التقسيم الذي أفادته تروجت (Elizabeth C. Traugott) (سنة 2002)⁽⁷⁾ من التعريف الشَّهِيرِ الَّذِي قدَّمه كوريولفتز (Jerzy Kurylowicz) (سنة 1965) للإنْحَاءِ ومؤداه أنَّه "تَغْيِيرٌ مرْحَليٌّ" تدرِّيجيٌّ تكتسي به الوحدات المعجمية والترَاكِيب اللُّغُوِيَّةُ وظائفَ نحوِيَّةٍ، وبه أيضًا تصير الصِّيغُ الأَقْلُ نحوِيَّةً أكثرَ نحوِيَّةً⁽⁸⁾، وقد تبني هذا التقسيم عدَّة باحثين منهم موريل نورد (Muriel Norde) (سنة 2012)⁽⁹⁾.

إنَّ "الإِنْحَاءُ" (Grammaticalization) بصفته إِطَارًا بحثيًّا يشير إلى جانب من جوانب دراسة تغيير اللغة غايته تفسير كيفية أداء العناصر المعجمية أو البنى التركيبية لوظائف نحوِيَّة في سياقات لُغويَّة معينة، وتحليل الكيفيَّة التي تتَطَوَّرُ بها العناصر النَّحوِيَّةُ تطَوُّرًا يمنحها الوسيلة لأداء وظائف نحوِيَّة جديدة، أمَّا بصفته مصطلحًا على ظاهرة لُغويَّة فيشير إلى المراحل الَّتِي تمرُّ بها العناصر اللُّغُوِيَّة حتى تصير أكثر نحوِيَّةً⁽¹⁰⁾، وإِذا كان الإنْحَاءُ مرتبطًا بنحوِيَّة العناصر فإنَّ دراسته تنطوي - كما سنرى في ثنایا البحث - على مقاربة عدَّة أصناف من التَّغْيِيرات الصَّوتِيَّةِ والصَّرِيفِيَّةِ والترَكِيبِيَّةِ والدَّلَالِيَّةِ، وهو مصطلح فرنسيٌّ الأصل (Grammaticalisation)⁽¹¹⁾ يعود إلى دراسة أنطوان ماييه (Antoine Meillet) سنة 1912 الَّتِي عنونها بـ"تطور الأشكال

(7) see Elizabeth C. Traugott 2002: From Etymology to Historical Pragmatics. p.26f. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

(8) Jerzy Kurylowicz 1975: Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) p.52. Munich: Wilhelm Fink.

(9) Muriel Norde 2012: Lehmann's Parameters Revisited. p.73. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins

(10) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: Grammaticalization. 2nd ed. p.1-2. Cambridge: Cambridge University Press.

(11) see Antoine Meillet (Ed.) 1948: Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) p.133. Paris: Champion

"النحوية" (L'évolution des formes grammaticales)، والثابت أن "مايه" لم يقدم تعريفاً لهذا المصطلح إنما اكتفى فقط بوضعه بين مزدوجين، لكن دلالته على منح كلمة مستقلة سمة نحوية⁽¹²⁾ كانت واضحة في هذه الدراسة.

نبذة تاريخية

وفي سبيل التأريخ لأُس هذا المصطلح هناك مَن يرى أنَّ المفهوم أو الفكرة الأساسية التي يقوم عليها المصطلح تعود إلى فترة أَقدم من تاريخ ظهوره لدى "مايه"، وهناك مَن يرى أَنَّه ظهر في الصين في القرن العاشر الميلادي، ومنهم مَن ينسبه إلى اليونانيين، كذلك نَهضت عدة دراسات تستتبع هذا المفهوم في الدرس اللساني الغربي السابق على ظهور المصطلح في فرنسا. فيرى أوستن دال (Östen Dahl) أَنَّه "على الرَّغم من تصاعد الاهتمام بهذا المفهوم لدى اللغويين في نهايات القرن العشرين، فقد جرت دراسته في القرن التاسع عشر على نطاق متسع بوصفه ظاهرة تحت مسمى نظرية الإلصاق Agglutination Theory⁽¹³⁾"، وهي النظرية التي قدمها فرانز بوب (Franz Bopp) وقام بتعديلها ومراجعتها «ولIAM دويت وايتني (W. D. Whitney)⁽¹⁴⁾. أمَّا عن التراث النحوِيِّ العربيِّ فيرى كريستيان ليهان (Christian Lehman) أَنَّه على الرَّغم من تعامل النحوِيِّ مع التصريف وبناء الكلمات فإنَّ بحثه – كما أَكَد جوناثان أونز (Jonathan Owens) – كان درساً آنيًّا؛ وبالتالي لم يحرز تطويرًا فيما يتعلق بالإِنحاء⁽¹⁵⁾، ومن اللافت أَنَّ "ليهان" يستشهد في الوقت نفسه – بنص اقتبسه جدعون جولدنبيرج (Gideon Goldenberg) عن

(12) see Christian Lehmann 2015: Thoughts on Grammaticalization. 3rd Ed. Berlin: Language Science Press. p.5.

(13) Östen Dahl 2004: The Growth and Maintenance of Linguistic Complexity. p.119. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

(14) see Stephen G. Alter 2001 : The Linguistic Legacy of William Dwight Whitney. p.1926. in Sylvain Auroux et al. (Eds.): History of the Language Sciences. Vol.2. pp.1923-31. Berlin, New York: Walter de Gruyter.

(15) Christian Lehmann 2011: Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (29): 9-26. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf. p.1

الرّجاجي (في كتابه الإيضاح) رأى فيه ليهان دليلاً على نظرية غير مكتملة في النحو العربي حول "الإِنْحَاء"، يقول الرّجاجي: "إِنَّ الْفَعْلَ مَا كَانَ لَا يَخْلُو مِنَ الْفَاعِلِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ ضَرُورَةً، ثُمَّ اتَّصَلَ بِهِ مُضْمِنٌ صَارَ كَبْعَضُ حِرْوَفَهُ، وَصَارَتِ الْجَمْلَةُ كَلْمَةً وَاحِدَةً"⁽¹⁶⁾. ويرى ليهان أنَّ اللّسانيات السّاميَّة الغربيَّة لم تتأخر كثيراً في إدراك مفهوم الإنْحَاء، ودلَّ على هذا بكتاب كارل بروكلمان "الأساس في النحو المقارن للغات السامية" *Grundriß der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen* الصادر سنة 1908م حيث كان مفهوم الإنْحَاء حاضراً في مقاربة «بروكلمان»، بل يذهب «ليهان» أبعد من هذا، فيرى أنَّ معاجلة «بروكلمان» لحروف الجر افترضت ما يطلق عليه الآن مساراً إِنْحَائِيَاً يتكون من أربع مراحل، وأنَّه استعمل في وصف هذه المراحل مفاهيم وصفية أساسية هي: فقد المحتوى الدلالي (من المرحلة الأولى إلى الثانية)، و"التَّحْجِر" (fossilization) (من المرحلة الثانية إلى الثالثة)، والتَّقْلِصُ إلى وظيفة نحوية خالصة (في المرحلة من الثالثة إلى الرابعة)، أمّا الأسماء التي تمثل المرحلة الأولى فهي عادة ما تكون دالة على أعضاء جسم الإنسان⁽¹⁷⁾.

ولقد شغلت دراسة الإنْحَاء في اللغات الساميَّة لاسيما الأكادية والعبرية عدداً غير قليل من الباحثين المعاصرين أمثال جيفون (Talmy Givon 1991،

(16) الرّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت 337هـ): الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، الطبعة الثالثة، ص 75. وقد جاء هذا القول في معرض حديث الرّجاجي عن حكم إعراب الأفعال (الأمثال) الخامسة بالحرروف، يقول: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلَمْ جَازَ أَنْ يَجِيءَ إِعْرَابُ الْفَعْلِ الْمُسْتَقْبِلُ بَعْدَ الْفَاعِلِ فِي قَوْلِكَ: الرَّيْدَانَ يَقُومُونَ، وَالرَّيْدَوْنَ يَقُومُونَ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ؟ فَقَدْ جَاءَتِ عَلَامَةُ رفعِ الْفَعْلِ بَعْدَ الْفَاعِلِ وَهِيَ ثَيَّبَتُ التَّوْنَ، وَكَذَلِكَ التَّصْبِيبُ وَالْجَزْمُ، لَأَنَّهُمَا يَحْذِفُونَ التَّوْنَ، وَهُوَ بَعْدُ الْفَاعِلِ، أَفَيْجُوزُ أَنْ يَكُونَ إِعْرَابُ شَيْءٍ مُوجَدًا فِي غَيْرِهِ وَكَوْنُ ذَلِكَ الشَّيْءِ مُعْرِبًا؟ قَيلَ لَهُ: إِنَّ الْفَعْلَ مَا كَانَ لَا يَخْلُو مِنَ الْفَاعِلِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ ضَرُورَةً، ثُمَّ اتَّصَلَ بِهِ مُضْمِنٌ صَارَ كَبْعَضُ حِرْوَفَهُ، وَصَارَتِ الْجَمْلَةُ كَلْمَةً وَاحِدَةً؛ فَجَازَ لِذَلِكَ وَقْعُ الْإِعْرَابِ بَعْدَ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ مَا صَارَتِ الْكَلْمَةُ كَلْمَةً وَاحِدَةً، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ إِسْكَانُ لَامَ الْفَعْلِ فِي قَوْلِكَ: فَعَلْتُ، أَسْكَنْتُ الْلَّامَ لَثَلَاثَةِ تَوْاَلَى فِي كَلْمَةٍ وَاحِدَةٍ أَرْبَعَ مُتَحْرِكَاتٍ».

(17) adapted from Christian Lehmann 2011: op. cit., p.2.

(Marie-Claude Simeone-Senelle) (1994، وسيمون-سنل) (Jo. Rubba وروبا 1994، 1997 (N. J. C. Kouwenberg) 1997، وفانهوف Martine Vanhove فانهوف 1997، وفونبرج Rainer Voigt) (1999، وفوجت توّزعت اهتمامات هذه الدراسات على موضوعات منها: الأفعال الناقصة، وحروف الجر، والمصدر، والأسماء الموصولة، وتضييف بعض الأفعال⁽¹⁸⁾.

في هذه الدراسات التي تهتم ببحث الإنحاء في اللغات السامية تؤكد من ناحية فاعلية الإنحاء في فهم الأنظمة النحوية مثل هذه اللغات، وهذا له كبير الأثر في إدراك كيفية تطور النّظام النّحوي في العربية؛ ذلك أنَّ مقاربة عملية الإنحاء في عدد من المجالات النحوية المختلفة وكذا في عدد من اللغات المتنوعة تفترض أنَّ «العموميات الحقيقية للغة هي عموميات التَّغْيِير، وأنَّ هذه العموميات يمكن النّظر إليها على أنَّها تمثل مسارات من التَّغْيِير، وأنَّنا في سبيل فهم النّحو والقواعد بصورة تامة لابد أنَّ ننظر من خلال هذه المسارات إلى الآليات الفعلية المسيبة للتَّغْيِير عندها نحاول فهم هذه الآليات عبر سيرورات تفاعلية ومعرفية أساسية، فإذا نجحنا في هذا بدأنا فهم كيف تبني اللغة قواعدها»⁽¹⁹⁾. كذلك أعتقد أنَّ هذه الدراسات من ناحية أخرى يمكن أنْ تضع أيدي صناع المعجم التَّارِيخي على معلومات مهمة حول المداخل "النحوية" أو المعجمية التي تطورت عنها وفق عمليات الإنحاء المختلفة" وحول توزيعها (كمداخل رئيسة أو فرعية) وحول تعريفها أيضاً، فدراسات اللغات العروبية (السامية الحامية) من المصادر المهمة بالنسبة إلى المعجم التَّارِيخي للغة العربية⁽²⁰⁾.

وما أود الإشارة إليه هنا أنَّ مفهوم الإنحاء كان حاضراً لدى التُّحاة العرب؛ وعليه فإنَّ حديث ليان السابق عن أنَّ النَّحو العربي لم يستطع الإمساك

(18) see Aaron David Rubin 2004: Studies in Semitic Grammaticalization. p.10. PhD Thesis. Harvard University.

(19) adapted from Joan Bybee 2003: Cognitive Processes in Grammaticalization. P.151. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.2. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc. 145-167

(20) انظر علي القاسمي، مرجع سابق 2014 ، ص293

بمفهوم الإنحاء يحتاج في سبيل تأكيده أو تفنيده إلى مزيد من البحث والتنصي، فإذا كان بروكلمان في مقارنته المقارنة لأنحاء اللغات السامية قد فطن إلى مفهوم الإنحاء وغاب عنه مصطلحه كما صرّح بذلك ليهان، فإنَّ أبا حيَانَ الأَنْدَلُسِيَّ في محاولته الرَّائِدَة تطبيق القواعد النَّحوِيَّة العربية على اللُّغَةِ التُّرْكِيَّة⁽²¹⁾ (التي لم تخل من مواضع عديدة قارن فيها بين اللغتين) لم يغب عنه أَيْضًا مفهوم الإنحاء وإن لم يسمِّه شأنه في هذا شأن بروكلمان، يقول أَبُو حيَانَ: "وتقول في معنى: أَقام سنجَرَ أَمْ سنقر؟: (سنجر مو طردو يا سنقر)، ويقال: (سنجرمي طردى يق سا سنقر)، وصار هذا الكلام يعطي معنى: أَقام سنجَرَ أَمْ سنقر؟، و(يُق) أَصله اسم بمعنى معدوم، والدَّليل على ذلك الإِضافة إِلَيْهِ، يقولون في معنى فقير: (يُقلُّو)؛ أَيْ: ذو معدوم، والإِضافة من خواص الأَسْمَاءِ، ثُمَّ استعملت (يُق) استعمال (لا) النَّافِيَّة، و(سَا) معناه (إِنْ) وهو حرف للشَّرْط فكأنَّه قال: أَقام سنجَر لَإِنْ سنقر، ويعطي معنى: أَمْ سنقر⁽²²⁾، ويزيد أَبُو حيَانَ فيقول: "و(يُق) بمعنى (لا) وقد تقدَّمَ أَنْ (يُق) اسم والاستدلال على ذلك، وإنْ كان قد أُسْتَعْمَلَ بمعنى (لا) لآنَه بمعنى معدوم، فقد توافق معنى (لا) ومعنى معدوم"⁽²³⁾.

إنَّ إِشارةَ أَبِي حيَانَ الأَنْدَلُسِيَّ إلى تحول (يُق) في اللُّغَةِ التُّرْكِيَّة المنطقية من الاسمية إلى الحرفية، وفقدتها المعنى الذي كان لها بالاسمية (معدوم)، وتطورها لتصير أَداة نفي عامة (=لا)، وتفسيره لهذا التحول بالتماس جامع دلالي بين (يُق) و(لا) النَّافِيَّة، كلَّ هذا دليلٌ واضحٌ على وجود مفهوم "الإنحاء" في التراث النَّحوِيِّيِّ (المقارن) عند "أَبِي حيَانَ الأَنْدَلُسِيَّ" وإنْ غابت عنه تسمية هذه الظاهرة، كذا لا أعتقد أنَّ أحدًا من يهتمون بمقاربة الإنحاء ينكر أنَّ يكون حديث "ابن جني" التالي إشارةً إِلَيْهِ وشاهدًا عليه، قال: "ومن ذلك أنه لما اطَّردَتِ إِضافةَ أَسْمَاءِ الزَّمَانِ إِلَى الفعلِ نحو: قمتُ يومَ قمتَ، وأَجْلَسُ حينَ

(21) see C. H. M. Versteegh 2006: Arabic Linguistics Tradition. p.438. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.1: 434-40. Amsterdam: Elsevier

(22) أبو حيَانَ الأَنْدَلُسِيَّ 712 هـ: الإِدْرَاكُ لِلْسَّانِ الْأَتَرَاكُ، مطبعة عامر، 1309، ص204.

(23) أبو حيَانَ الأَنْدَلُسِيَّ 712 هـ: المرجع السابق، ص212.

تجلسَ، شبھوا ظرف المكان بها في (حيث)، فتدرجوا من (حين) إلى (حيث) فقالوا: قمتُ حيث قمتَ⁽²⁴⁾، ويمكنني أن أضيف في هذا السياق ما توصلت إليه دراسة ثريا عامر من أن "المتفحص لما قيل في الأفعال الناقصة في كتب التراث [يخرج] بنقاط التقاء عديدة لما تم ضبطه من مبادئ الإنماء"⁽²⁵⁾، وبصرف النظر عن تاريخ مفهوم الإنماء فقد رأى فيه بعض اللسانين المعاصرین إمكانية لطرح إطار تفسيري لدراسة عموميات اللغة وبعدها الطوبولوجي، ورأى فيه آخرون مقاربة بديلة لبنية اللغة التي تم وصفها وتحليلها في الأنماء الشكلية الآنية⁽²⁶⁾.

الإنماء والمعجم التارخي للغة

أما عن علاقة الإنماء بالدرس المعجمي بعامة والمعجم التارخي للغة بخاصة فتتمثل من وجهة نظري في إمكانية أن تقدم البحوث المتعلقة بالإنماء وظواهره المختلفة في اللغة العربية صورة مفصلة عن تطور ألفاظ اللغة على العدين الآني والتارخي؛ فانياً يقارب الإنماء الاستعمالات المتعددة لصيغة أو تركيب مفرد في فترة زمنية معينة وبين درجة إنهاها، وتاريخياً يلقي الضوء على الدورة التطورية لصيغة معينة وتحولاتها المختلفة داخل اللغة⁽²⁷⁾. أضاف إلى هذا أن الإنماء يتضمن مجموعة من الآليات كل واحدة منها تعد تطوراً وتغييراً في حد ذاتها؛ بمعنى أن الإنماء عملية تطور مركبة تتضمن عدة تغيرات منها التأثير الصوتي والتغير الدلالي والتغير النحوی والتركيبي، فإذا نظرنا إلى التاريخ

(24) ابن جنی (أبو الفتح عثمان بن جنی، ت 392هـ) : الخصائص، تحقيق عبد الكريم بن محمد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت، المجلد الثاني، ص12.

(25) ثريا السكري عامر، ظاهرة الإنماء في اللغة العربية: الفعل الناقص نموذجاً، تونس: كلية الآداب والفنون الإنسانيات، تصدر الأزهر الزناد 2009، ص95، وانظر لمزيد من التفصيل الباب الأول من هذه الدراسة ص 93-110.

(26) after Paul J. Hopper 1996: Some Recent Trends in Grammaticalisation. p.217.
Annual Review of Anthropology, vol.25:217-36

(27) after Mohssen Esseesy 2007: Grammaticalization. p.191 in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (191-8) Leiden, Boston: Brill

المعجمي بمعناه العميق والشامل الذي ألمح إليه الدكتور «الودغيري» - مثلاً من ناحية - في ملحة مسار الوحدات المعجمية «في كل بيئاتها التي تقلّبت فيها المجالات والحقول الدلالية التي انتقلت منها وإليها، وتسجّل كل الملاحظات الخاصة بالتغييرات التي طرأت على صيغها اللفظية صوتاً وصرياً، سواء في حالة انفرادها وإنعزالتها أم في حالة انتظامها مع غيرها وتركيبيها في جمل وسلسل كلامية، ومثلاً - من ناحية أخرى - في تتبع رحلة الكلمات من لغة إلى أخرى⁽²⁸⁾، فإنَّ الدرس الإنحاء يضع أمام عملية التاريخ هذه مجموعة من الحقائق المتعلقة بصور الألفاظ ودلائلها وما طرأ عليها من تغيير في مبناتها ومعناها ووظائفها وتحولاتها سواء داخل اللغة أو في لغة أخرى حيث أصبح مفهوم الإنحاء ركناً مهماً في دراسة الاحتكاك بين اللغات التي تربط بينها علاقات معينة وأثراً شاهداً على تاريخ تلك العلاقات⁽²⁹⁾.

فتطور عالمة المستقبل (السِّين) عن (سوف) أو (السوف)، واستعمال (من) صلة وشرطًا، و(ذو) متوجعة بالاسم والفعل، و(ما) التّميمية والمحجازية،

(28) انظر دراسة د. عبد العلي الودغيري 2016: التاريخ المعجمي والتّطّور اللّغوي, ضمن كتاب المعجم التاريخي للغة العربية: روئي وملامح، إعداد د. متصرّ أمين عبد الرحيم، ود. خالد العيّوبدي، الرياض: مركز الملك عبد الدولي لخدمة اللغة العربية, الطبعة الأولى، ص. . وأشار هنا أنَّ ديروي L. Deroy يعُدّ من أوائل الذين اهتموا بفكرة «رحلة الكلمات» سنة 1956 في كتابه حول الاقتراض اللّغوي L'emprunt Linguistique، ولعل تتبع هذه الرّحلة لا يتوقف عند رصد انتقال الكلمات من لغة إلى أخرى، بل تتبع عودتها إلى لغتها الأصلية مرة أخرى في ثوب صياغي جديد، وهذا النوع من الكلمات يطلق عليه ديروي «الكلمات الرّحالات Mots Voyagers»، انظر د. عبد المنعم السيد جُدامي 2016: المشكلات الثقافية في معجم إلياس بُقطر، ضمن كتاب (المعجمية العربية: قضايا وآفاق – الجزء الثالث) إعداد وتنسيق د. متصرّ أمين عبد الرحيم، ود. حافظ إسماعيلي علوى، إربيد: دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، ص 282، 307. وما يستحق الذّكر هنا أنَّ تتبع رحلة الكلمات ذهاباً وإياباً مثل مظهراً لافتاً من مظاهر المعجم التاريخي للغة الفرنسية الذي أشرف عليه آلان راي A. Rey.

(29) لمزيد من أبعاد تلك العلاقة بين الإنحاء والاحتكاك اللّغوي انظر: Bernd Heine & Tania Kuteva 2005: Language Contact and Grammatical Change. p.1-21. Cambridge University Press

وانتقال كلمة (وسط) من الاسمية إلى الظرفية، واستعمال (جي) تركية الأصل للنسبة إلى صنعة أو للدلالة على لزوم صفة معينة، واستعمال (مرة) للدلالة على النفي والتكثير بمعنى (أبداً) و(جداً) و(كثيراً)، و(بعد) بمعنى (أيضاً وكذلك)، و(يم) بمعنى (جانب)، واستعمال (أخذ) بمعنى (بدأ)، كل هذه الأمثلة وغيرها تؤكد على أنَّ الإنحاء من المفاهيم المهمة التي يجب أنْ نلتفت إليها وننوه بها ونحن نتحدث عن معجم تاريجي للغة العربية؛ وذلك لاتصاله الراسخ بظاهرة التَّغَيُّرُ اللُّغُوِيِّ. أضاف إلى هذا أنَّ الإنحاء لا يعبر فقط عن تطور واحد في مرحلة زمنية واحدة إنما هو عدة تطورات وتغييرات تصيب العناصر اللغوية على فترات زمنية مختلفة متعاقبة، حيث يراد من المعجم التَّاريجي للغة أنْ يوثق جميع مظاهر هذه التَّغَيُّرُاتُ اللُّغُوِيَّةِ ومن بينها الصيغة المنحاة، فيوضع أمام كل صيغة من هذه الصيغ ما يشير إلى أنَّ معنى معيناً من معانيها ووظائفها المختلفة إنما هو نتيجة نوع معين من الإنحاء، فتُوضَع الصيغ تحت مداخلها الرئيسية ويتم الاتفاق على رمز محدد يشير إلى الإنحاء أو سبب تغييرها. ولا ترى دراسة معتمدة حول الإنحاء إلا وتجد أنها تحيل على معجم لغتها موضع البحث لاسمها التَّاريجي كما هو الحال بالنسبة إلى معجم أكسفورد التَّاريجي للغة الإنجليزية⁽³¹⁾، ويمكن هنا الإفادة من المعاجم اللغوية التَّراثية وما تلاها من معاجم حتى عصرنا هذا في إثراء بحوث الإنحاء من خلال ما تمَّ رصده في هذه المعاجم من تغيير في صور المفردات المعجمية ووظائفها التَّحوُيَّةِ وانتهاها المقولي، فلسان العرب لـ «ابن منظور» على سبيل المثال واحد من المعاجم المهمة في هذا السياق لاسيما أنَّ حديثه عن المداخل المعجمية - كما يرى أحمد العلوى - يضم أخباراً عن معانيها واختلافاً في ذلك لا يفسر إلا بكونه بياناً لتطور معنى المدخل زمانياً أو مكانياً. غير هذا التفسير لا ندرك معنى الاختلاف الكلمة الواحدة إلى أكثر من ثلاث دلالات، وأحياناً لا نجد بين الدلالات المختلفة رابطاً مجازياً بيناً، بل نجد اللفظ

(31) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliucca 1994: The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Languages of the World. p.217-8. Chicago and London: University of Chicago Press.

يدل على معانٍ بينها روابطٌ أخرى لا يفسرها إلا التّطوير والإضافات الدلالية المترادفة لأسباب متعددة عند المستعملين⁽³²⁾، وبدورها على بحوث الإنحاء ودراساته أنَّ تقدُّم قائمة بمجموعة الصيغ العربية المنحاة مع وصف مراحل تغييرها ومساراتِ إنحائتها كي يفيد منها واضعو المعجم التارخي للغة.

مسار الإنحاء وأحادية الاتجاه

فلكل لفظ من الألفاظ المنحاة رحلة تطورٌ خاصةٌ يُشار إليها بمسار الإنحاء (Grammaticalization Path)، كما رأينا سابقاً في وصف "بروكليمان" لتطور حروف الجر في اللغات السامية، والغالب على هذا المسار أو ذاك هو انتقال اللّفظ من المعجمية إلى النحوية أو من النحوية إلى درجة أعلى منها، وهذا معناه أنَّ هناك اتجاهًا أحاديًّا الوجهة (معجميٌّ < نحوٍ >⁽³³⁾)، وهو ما يصطلاح عليه في الدرس الإنحائي بـ"أحادية الاتجاه" (Unidirectionality) (واختصارها UD)، وهي فرضيةٌ تؤكدُ أغلب دراسات الإنحاء -رغم خلافات كثيرة لا داعي إلى سردِها هنا⁽³⁴⁾- على أنها ركيزة أساسية في نظرية الإنحاء⁽³⁵⁾، وتقوم هذه

(32) انظر دراسة أحمد العلواني المعجم التارخي للغة العربية وشروط قيامه، ضمن كتاب المعجم التارخي للغة العربية: روئي وملامح، إعداد متصر أمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2016.

(33) يشير السهم (>) في هذا البحث إلى أي صورة من صور التطور التارخي لصيغة ما، ويقرأ: تطورت أو تغيرت إلى.

(34) لعرض مهم حول هذه الفرضية، انظر : Roger Lass 2000: Remarks on (Uni)dierctionality. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company pp.207-27.

(35) لم تتفق الآراء حول ما إذا كان الإنحاء يشكّل نظرية أم لا، ومن الرؤى المبالغ فيها في هذا السياق رؤية «فريديريك نيوماير»، انظر:

Frederick J. Newmeyer 1998: Language Form and Language Function. p.234-235. MIT Press .

وإذا كان «نيوماير» يمثل موقف التيار التوليدية من دراسة الإنحاء فسأكتفي هنا برأي «بيبي جوan Lea Bybee» - من بين آراء أخرى لا يتسع المقام لذكرها - فيما يخص هذا الموقف، فهي ترى أن التوليديين ينظرون بخصوص هذه الظاهرة إلى جوانب قليلة (تغيرات المقوله) تاركين بعض الجوانب الأخرى التي تشكّلها وتؤثر فيها كـ(التغييرات الصوتية والدلالية والتداوائية)، وترى أيضًا أن الغاية من وراء ==

الفرضية - كما يوضح روجر لاس (Roger Lass) - على ثلات نقاط أساسية؛ الأولى: أنَّ عمليات التَّغْيِير الصَّرْف-تركيبيٌّ تُنطوي على مسارات أو مُنصلات تغيير ذات نقاط تدرجية محددة، وأنَّ المسار الرَّئيسي هو التَّحُول من (المعجمية <النَّحوية>) حيث تبدأ بكلمات معجمية تنتهي بها رحلة التَّطُور إلى مورفيات صرفية، هذا بالإضافة إلى مسارات أخرى تتضمن - على سبيل المثال - التَّحُول من (حر <مقيد>)، النَّقطة الثانية: أنَّ أي حركة على هذه المسارات أو المُنصلات هي تغييرٌ أحادي الاتجاه، النَّقطة الثالثة والأخيرة: وجود الكثير من الأدلة التطبيقية التي تدعم هاتين النَّقطتين (الأولى والثانية) يمكن من القول إنَّ العناصر النَّحوية الموجودة في جميع اللغات الطبيعية ناتجة عن عناصر معجمية أو مشتقة منها⁽³⁶⁾.

ويمكن أنْ يُطلق على هذا المسار أو ذاك "مسار النَّحوية" (Grammaticality) ما دمنا سلمنا بفرضية أحادية الاتجاه. وخلال هذه المسارات تلمع تحركاً للعناصر من مصدر حسيٍّ إلى هدف أو عدة أهداف مجردة عبر مجموعة متعددة من الوظائف المتتالية التي يمكن أنْ يؤديها العنصر خلال عملية التَّطُور أو التَّغْيِير بحيث يعكس موقع الصيغة على هذا المسار درجة نحويتها، أمّا عن الواقع الدقيق لنقاط المسار فمن الصعب تحديدها؛ إذ ليس هناك حدود واضحة بين المقولات التي يمكن لها أنْ تُشكّل مسار التَّطُور⁽³⁷⁾. ولعل واحداً من أهم المسارات النَّحوية في هذا الإطار هو المسار الذي وضعه بول هوبير (Elizabeth C. Traugott) واليزابيث تروجت (Hopper Paul J.) حيث يبدأ بكلمة

= وضع ما يسمى «المبادئ التفسيرية Explanatory Principles» هي الدفع بالاتجاه في اتجاه معين، هذا بالإضافة إلى أنَّ عدداً غير قليل من الفرضيات الأساسية التي يتبناها التوليديون لا تتماشى وحقائق كثيرة حول الاتجاه. وللمزيد انظر:

Joan Bybee 2009: Grammaticization: Implications for a Theory of Language. p.346 In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. 345-355

(36) adapted from Roger Lass 2000: op. cit. p.207-8.

(37) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

ذات محتوى معجمي تتطور من خلال الإِنْحاء إلى كلمة نحوية، فمُتَصل، ثُمَّ لاصقة تصريفية، وذلك على الصورة التالية⁽³⁸⁾ :

Content Item > Grammatical Word > Clitic > Inflectional Affix

ووفقاً لفرضية أحادية الاتجاه فإنَّه إذا انتقل عنصر معجمي من نقطة إلى نقطة أخرى داخل هذا المسار، فلا يمكن له العودة مرة أخرى إلى واحدة من صيغه الأول التي كان عليها قبل عملية التطور أو الانتقال، ولكن هذا لا يمنع إمكانية أن تبقى الصيغة المنحاة بجانب العنصر المعجمي الأصلي الذي تطورت عنه؛ ومن ثَمَّ يخضع هذا العنصر للتغير كغيره من العناصر، ويُطلق على هذه الظاهرة "التفرع" (Divergence)⁽³⁹⁾، وتمثل هذه الظاهرة وفق ما طرحته محسن السيسى في تطور العالمة الدالة على الزَّمن المستقبل في العربية الفصحى المعاصرة⁽⁴⁰⁾، وهي "السَّين" في مثل: "ستظُهر التَّبيِّحة غداً"، فهي من اسم "السَّوف" بمعنى الأمانى في مثل قولهم: فلان يقتاتُ السَّوف⁽⁴¹⁾، وتستعمل مصدرًا مضارفًا في مثل ما ذكره سيبويه من شعر ابن مقبل: (لو ساوفتنا بسوف من تجنبها *** سوف العيوف لراح الرَّكب قد قنعوا)، وذكر ابن منظور أَنَّهم قالوا: سو يكون، فحذفوا اللام، وسا يكون، فحذفوا اللام وأبدلوا العين طلب الحفة، وسف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللام"⁽⁴²⁾، وأحسب أنَّ قولنا: (سـ) صورة متطورة عن قولهم: (سـ يكون) بحذف العين واللام معًا طلباً للخلفة، وعلى هذا فإنَّ السَّين وحدتها "منحاة عن الاسم وقد فقدت علاماته التعريف والجر والإِضافة) وحالاته الإِعرائية وجانباً كبيراً من دلالته، وأصبحت مجرد لاصقة مقصورة على صنف معين من الأفعال تسبقه وتوجهه

(38) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.7.

(39) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.118.

(40) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(41) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (سوف) المجلد 9، ص 164.

(42) ابن منظور، السابق نفسه.

دلالته الّزمنيّة نحو المستقبل⁽⁴³⁾، وسواءً أكانت هذه السّين منحاة عن اسم أم عن فعل في رأي بعضهم - حيث ذكر «ابن منظور» عن «ابن جني» قوله عن «سوف»: "هو حرف واشتقوا منه فعلاً فقالوا: سوْفَتُ الرَّجُل تسويغاً"⁽⁴⁴⁾ - فلا ينفي هذا الإنحاء الحالى فيها، إنما يدعونا هذا - وبناء على شواهد من العربية ومعاجمها وقواعدها وأراء النّحاة العرب أنفسهم - إلى التّفكير مرة بعد مرة في رسم مسارات إِنْحائِيَّة تستجيب - أو لا وقبل كل شيء - لمنطق العربية في التّطوير، فإذا كانت اللّغات جميعها تخضع للتطوّر والتّغيير، فإنما بلا شك تتفاضل في مظاهره ومساراته، وهذا لا ينفي بالطبع وجود الكثير من أوجه التّشابه.

فالمتوقع وفق دراسة بيبي (Joan Bybee) وآخرين أنَّ أي عملية من عمليّات الإنحاء تبدأ بمعنى مصدر (Source Meaning) مشابه لمعنى آخر في لغة أخرى فمن المتوقع هذه العملية أنْ تسلك المسار نفسه، وهو ما يُطلق عليه في هذه الدراسة المسارات العامّة (Universal Paths)، ولكنَّ هذا التّوقع لا يمنع أمثلة خاصة من الإنحاء⁽⁴⁵⁾ ، إنَّ علاقة "السّين" هنا بالفعل "سوف" أو بالاسم "السوف" والأقوال الثلاثة التي ذكرها ابن منظور (سو يكون، وسا يكون، وسف يكون) تدعهما ظاهرة "التّفرّع" لدى "هوبير" و"تروجت" أو ما اصطلح عليه "هين" (Bernd Heine) و"ريه" (Mechthild Reh) بالانقسام (Split)؛ أي وجود صيغتين لعنصر معين؛ الأولى تمثّل حالة وضعه الأول، والثانية هي حالته الناشئة عن الإنحاء⁽⁴⁶⁾ ، وأحسب أنَّ "الانقسام الوظيفي" (Functional Split)؛ أي وجود تطوريين مختلفين لوحدة معينة داخل اللغة⁽⁴⁷⁾ توسيف مهم وغير مستبعد أيضًا في حالة "السّين" الدالة على المستقبل. إنَّ حالة "السّين" هنا قريبة الشّبه بحالة "will" الإِنْجِليزِيَّة، فالأخيرة مأخوذة عن

(43) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(44) ابن منظور، مرجع سابق، ص 164.

(45) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca 1994: op. cit., p.14-15.

(46) see Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. p.57. Hamburg : Helmut Buske

(47) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.57.

الألمانية بمعنى: يريد (want)، ثم فقدت جزءاً كبيراً من هذا المعنى، وتم إنجاؤها تصوير علامه دالة على المستقبل تتقيّد بموقع محددة داخل الجملة⁽⁴⁸⁾. وإذا كانت "will" تتعرض لـ "تآكل صوتي" (Phonetic Erosion) - وهو أيضاً مظاهر من مظاهر الإنحاء⁽⁴⁹⁾ - في مثل "she'll" فهذا يعود بنا إلى قول ابن منظور: "قالوا: سو يكون، فحذفوا اللام، وسا يكون، فحذفوا اللام وأبدلوا العين طلب الخفة، وسف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللام"، فحدث ابن منظور -من وجهة نظرى- يموضع مثل هذه الصيغ عند نقطة معينة من نقاط مسار إنحاء "السین"، وأظن أنَّ "الحذف" الذي تحدث عنه هنا معادل مصطلحي للتآكل الصّوتيِّ الذي تتعرض له بعض الصيغ المنحاة.

وهنا أقترح العودة إلى معجم لسان العرب لـ "ابن منظور" وإلى معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة لـ "أحمد مختار عمر" كي ننظر في هذه "السین" وموضعها في المعجمين، وتعريفها، وماذا يمكن أنْ تقدم دراسات الإنحاء للمعجم اللغوي العربيِّ عامَّة والمعجم التَّارِيخيِّ للغة العربيَّة بخاصة من خلال هذا المثال، فـ "السین" في معجم لسان العرب وردت على النحو التالي: "حرف السين المهملة" "الصاد والسين والزاي أسلية؛ لأنَّ مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان، وهذه الثلاثة في حيز واحد، والسين من الحروف المهموسة، وخرج السين بين مخرجي الصاد والزاي؛ قال الأزهري: لا تائف الصاد مع السين ولا مع الزاي في شيء من كلام العرب"⁽⁵⁰⁾.

وجاءت في معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة كما يلي: (س) «س¹ [كلمة وظيفية]: الحرف الثاني عشر من حروف الهجاء، وهو صوت أسناني لثويّ، مهموس، ساكن، احتكاكٍ (رخو)، مُرقق. س² [كلمة وظيفية]: 1- حرف يسبق الفعل المضارع المثبت دون المنفي فيخصصه للاستقبال، فيدل على

(48) after Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007: A Glossary of Historical Linguistics. p.73. Edinburgh University Press.

(49) see Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.15.

(50) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد السادس، ص.3.

المستقبل القريب، وقد يدل على المستقبل البعيد. ٢- حرف غير عامل يفيد تكرار الفعل وتوكيده ...»⁽⁵¹⁾. إن ثمة اختلافات كثيرة بين المعجمين فيما يخص "السّين":

- تعامل لسان العرب معها على أنها صوت من أصوات العربية؛ فين خرجها وعلاقتها بغيرها من الأصوات وبعض صفاتها.
- لم يشر لسان العرب إلى معنى السّين كحرف دالٍ على المستقبل يسبق الفعل المضارع المثبت كما فعل معجم اللغة العربية المعاصرة.
- أدرجها معجم اللغة العربية المعاصرة الكلمة وظيفية لأنّها من حروف الهجاء؛ فين موقعها من حروف الهجاء، وعدّ صفاتها الصّوتية.
- أدرجها معجم اللغة العربية المعاصرة الكلمة وظيفية لأنّها مما اكتسب دلالة جديدة غير دلالته اللغوية؛ فذكر مواضعها النحوية ودلالاتها في هذه الموضع.

فالكلمات الوظيفية في معجم اللغة العربية المعاصرة «هي الكلمات التي اكتسبت دلالة جديدة بعيدة عن الدلالة اللغوية لألفاظها وتشمل حروف الهجاء وجميع حروف الجر وأدوات الاستفهام والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة وأدوات الشرط والظروف وأسماء الأفعال، كما اشتغلت بعض الأفعال الجامدة، مثل "عسى" ... إلخ»⁽⁵²⁾.

ورغم ما يبدو من أنَّ معجم اللغة العربية المعاصرة قد خطأ خطوات جيدة فيما يتعلق بترتيب المداخل واستقصاء معلوماتها، فإنَّ ورود حديثه عن السّين كحرف دالٍ على المستقبل مخصص للدخول على المضارع المثبت بعد حديثه عنها كصوت أو حرف هجائي يشي -وفق تعريفه للكلمات الوظيفية

(51) أحمد محنتار عمر (بمساعدة فريق بحث) معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، 2008، ص 1019.

(52) أحمد محنتار عمر، المرجع السابق، المجلد الأول، 2008، ص 13.

السابق - بأنَّ هذه الدلالة دلالة جديدة للسِّين المفردة، ويعزز هذا الاستنتاج أنَّ حديثه عن "سوف" لم يتضمن أيَّة إشارة إلى السِّين (فقد ذكر في (سوف) 2675 [كلمة وظيفية] حرف مبني على الفتح ينحصص أفعال المضارعة للاستقبال البعيد، فيرِّد الفعل من الزَّمن الضَّيق وهو الحال إلى الزَّمان الواسع وهو الاستقبال، وهو يقتضي معنى الماطلة والتَّأخير، وأكثر ما يستعمل في الوعيد، وقد يستعمل في الوعد⁽⁵³⁾ فلم يوضح هذا التعريف علاقة "سوف" بالسِّين رغم ثبات هذه العلاقة، ورغم أنَّ الدكتور أحمد مختار عمر -رحمه الله- قد أخذ في معجمه الموسوعي للألفاظ القرآن الكريم وقراءاته على الأعمال السابقة في هذا الشأن أَنَّها لم تذكر "بل" و"السِّين" في حين أَنَّها أثبتت "بل" و"سوف"⁽⁵⁴⁾، كذلك خلا حديثه عن هذا المدخل 2675 من "سوف" الاسمية رغم أنَّه أثبت الأفعال "سَافَ" - "سَوْفَ" ، ورغم وجودها في لسان العرب، وربما خلا هذا المعجم من مدخل لـ "التسويف"!.

وما أُريد التأكيد عليه هنا أنَّ الاختلاف الجوهرى بين المعجمين يكمن في رؤيتهم لـ «معجمية» العناصر التي تشكّل مداخل كلٍّ منها، فالسِّين الدلالة على المستقبل ليست مدخلاً من مداخل لسان العرب؛ لأنَّها بذاتها صيغة خالية من المعنى بالمنظور المعجمي، ولكنَّها في المقابل شكلت مدخلاً من مداخل معجم اللغة العربية المعاصرة ربما لأنَّ المنظور النحوى مثل واحداً من العناصر التي يتكون منها مفهوم «المعجمية» عند أصحاب هذا المعجم.

إذن، فالمعجم التارىخي للغة العربية - وهو يستثمر مثل هذه المعاجم في معالجة مواده - مطالب برصد "السَّوْفَ" كاسم له من الشواهد - التي ساقها "ابن منظور" و"سيبويه" - ما يؤكده، وبيان العلاقة بين "السِّين" و"سوف" و"السَّوْفَ" و"سَوْفَ" ، وبتحقيق قول "ابن جنِّي" في هذا: "هو حرف اشتقوا

(53) انظر أحمد مختار عمر (بمساعدة فريق بحث) المعجم الموسوعي للألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرياض، مؤسسة سطور المعرفة، الطبعة الأولى، 2002، ص 19.

(54) د. أحمد مختار عمر 2008: المراجع السابق، المجلد الأول، ص 13.

منه فعلاً، والتأكد من الشواهد: (سف يكون، وسا يكون، وسو يكون) وتبير أشكالها، وأحسب هنا أن الاستعانة ببحوث الإناء يمكن أن تساعد في تحقيق بعض هذه المطالب، فإذا صح استنتاجنا أن "السوف" [عنصر معجمي - اسم] تطورت عنه "سوف" [عنصر نحوي - حرف]، ثم حصل فيها تأكيل صوقي (سف، سو، سا، ثم س) ولزمت موقع تركيبية محددة مع بقاء الكلمتين جنباً إلى جنب [التفرع أو الانقسام]، أو أن "سوف" انتقلت إلى "سوف" وتحولت الأخيرة إلى "سف، سو، سا، ثم س" وتقيدت بالدخول على الفعل المضارع المثبت فقط، فإن المعجم التارخيي لا بد أن يشير في تعريفه لهذه المدخل (بحسب الطريقة التي سيتم اعتمادها في الترتيب) إلى إيناءها ويتبع مسار هذا الإناء لاسيما أن المعاجم السابقة لم ترصد هذه العلاقات.

بين الإناء والمعجمة

إن الصورة المجازية للإناء تمثلها مقاربة يطلق عليها "مقاربة الصندوق" (Box Approach) ومفادها أن هناك صندوقاً ضخماً للمعجم وآخر للنحو، الأول متلئ بالعناصر المعجمية، والثاني متلئ بالعناصر النحوية؛ ومن ثم فإن العمليات التي يتم من خلالها انتقال العناصر من الصندوق الأول الخاص بالمعجم إلى الصندوق الثاني الخاص بالنحو تمثل الإناء، أما العمليات الخاصة بنقل العناصر من صندوق النحو إلى صندوق المعجم فتمثل "معجمة" (Lexicalization)⁽⁵⁵⁾ العناصر النحوية، وبين كل من الإناء والمعجمة روابط قوية، ففريق من الباحثين يرى أنها نوع مخصوص من "نزع الإناء" (Degrammaticalization) حيث تفقد الصيغ والبني وظائفها النحوية ويتم تحجرها في صورة عناصر معجمية أو تعبير اصطلاحية عقيمة، وفريق آخر يرى أن الإناء هو تطور إضافي في عملية المعجمة؛

(55) see Nikolaus P. Himmelmann 2004: Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.21. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.

بمعنى أنه تقيد صارم لعنصر معجميٌّ معين⁽⁵⁶⁾، فإذا كان الإنحاء هو إيجاد عنصر نحوٍ من عنصر معجميٍّ، أو إيجاد عنصر نحوٍ من آخر أقل نحوية، فإنَّ المعجمة هي العملية العكسية؛ أي التحوُّل من عنصر نحوٍ إلى عنصر معجميٍّ أو خفض درجة نحوٍ بمعنى أنه إيجاد عنصر معجميٍّ - من عنصر غير معجميٍّ - أو زيادة درجة معجمية هذا العنصر⁽⁵⁷⁾.

فقد رأينا فيما سبق رأي "ابن جني" أورده "ابن منظور" حيث ذكر أنَّ "سَوْفَ" «حرف اشتقو منه فعلاً فقالوا: سَوَّفَتُ الرَّجُل تسويفاً»⁽⁵⁸⁾، وهذا معناه أنَّ "سَوْفَ" انتقلت من النَّحو إلى المعجم بتحوُّلها من الحرفيَّة إلى الفعلية، ومعنى هذا أيضًا أنها انتقلت من صيغة غير معجمية إلى عنصر معجميٍّ كامل الدلالة، وتُسمى عملية الانتقال هذه "القلب" Conversion، وهي ظاهرة غير مألوفة نسبيًّا، ولكنَّها شواهد في أغلب اللغات⁽⁵⁹⁾، ومنها في العربية أيضًا ما أورده "ابن جني" دليلاً على تداخل أقسام الكلام في العربية قال: "إِنَّ كثيرًا من الأفعال مشتق من الحروف، نحو قولهم: سألك حاجة فلوليتك لي، أي قلت لي: لولا، وسائلك حاجة فلا ليت لي، أي: قلت لي: لا، واشتقو أيضًا المصدر - وهو اسم - من الحرف، فقالوا: اللالاة، واللولة... وكذلك قالوا: سَوَّفتَ الرَّجُل، أي: قلت له: سَوَّفْ، وهذا فعل كما ترى مأخوذه من الحرف... وأنا أرى أنَّ جميع تصرف (ن ع م) إنما هو من قولنا في الجواب: نَعَمْ، من ذلك النَّعمة والنَّعمة، والنَّعيم والتَّنْعيم، ونعمت به بإلا، وتنعمَ القوم، والتَّنْعَمَى، والنَّعَمَاء، وأنعمت به

(56) adapted from Ilse Wischer 2000: Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. p.359. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

(57) after John van der Auwera 2002: More Thoughts on Degrammaticalization. p.20. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company

(58) ابن منظور، مرجع سابق، المجلد التاسع، ص164.

(59) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.58.

له، وكذلك البقية، وذلك لأنَّ (نَعْمٌ) أَشَرَّفَ الجوابين، وأَسْرَهُما للنفس وأَجلبُهما للحمد ... لما فيها من المحبة للشيء والسرور به ... [ف] الحروف يشقق منها، ولا تشتق هي أبداً، وذلك أَنَّها لِمَا جمدت فلم تتصرف شاخصة بذلك أصول الكلام الأولى التي لا تكون مشتقة من شيء⁽⁶⁰⁾، وإذا كانت نهاية كلام ابن جني تقدح في إِنْحِاء "سوف" من الاسم أو الفعل، فإنَّني أَظُنُّ أنَّ الحديث عن الاشتقاء أَمْرٌ مختلف عن التَّطُور أو الإِنْحِاء، كما أَظُنُّ أنَّ هذا الحديث يثبت إِنْحِاء "الفعل من الحرف" ولا يقدح في إِنْحِاء السَّيْنِ من "سوف" الفعلية أو الحرفية بدليل قول «ابن منظور»: "قالوا: سو يكون، فحذفوا اللام، وسا يكون، فحذفوا اللام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، وسف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللام" ، ولكنْ يمكن لنا الإِفاداة من ملاحظة "ابن جني" هذه في ضبط بعض الأمور المتعلقة بمسار الإِنْحِاء واتجاهه، وتبقى المسألة مفتوحة للاجتهاد ما لم نعثر على شواهد موثقة تارخيناً تمكّناً من معرفة متى بدأ التَّغْيير ومتى انتهى وبأي صيغة، وهنا يأتي دور المعجم التَّارِيخي للُّغة العربيَّة، وعليه فإنَّ البحث يشدد في مواضع كثيرة على ضرورة التَّكامل بين جهود أصحاب المعجم التَّارِيخي وباحثي الإِنْحِاء.

وبكلِّ أنْ نترك حديث "ابن جني" أُشير إلى ملحوظ مهم يحب التَّنبيه إليه بخصوص فرضيَّة أحاديَّة الاتجاه UD والرأي الذي يمكن أنْ نجده لدى "ابن جني" إِزاء هذا الملاحظ، فالقول بهذه الفرضيَّة وفق الصياغة المعتمدة لها أو ما أصبح يُطلق عليه فرضيَّة أحاديَّة الاتجاه القوية (Strong UD)⁽⁶¹⁾؛ أي بتطور الصيغ النحوية فقط عن صيغ معجميَّة، قول أحد معانيه التَّسليم بأنَّ جميع عناصر اللُّغة كانت في مرحلة ما من مراحل تطورها السابقة عناصر معجميَّة فقط، فقد ذكر "ابن جني" في "باب في هذه اللُّغة": أَفِي وقت واحد وُضِعَتْ أم

(60) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني)، ت 392هـ: أَخْصَاص، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص 23: 25 بتصرف.

(61) adapted from Roger Lass 2000: op. cit. p.218.

تلاحق تابعٌ منها بفارطٍ؟» أَنَّه "يجوز أَنْ يكونوا عند التَّواضع قدّموا الاسم قبل الفعل، ويجوز أَنْ يكونوا قدّموا الفعل في الوضع قبل الاسم، وكذلك الحرف، وذلك أَنَّهم وزنوا حينئذٍ أحواهم وعرفوا مصاير أمورهم، فعلموا أَنَّهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، وأنَّها لابد لها من الأسماء والأفعال والمحروف، فلا عليهم بأَيْها بدعوا، أَبَا الاسم أَم بالحرف؛ لأنَّهم قد أُوجبوا على أنفسهم أَنْ يأتوا بهن جُمَعًا، إذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن" ⁽⁶²⁾.

الفقد والاكتساب

إِنَّ معنى انتقال العنصر من المعجم إلى النَّحو هو أَنْ تتغير سماته وصفاته، فالإنحاء بحسب «هين» و«ريه» تطور تفقد من خلاله الوحدات اللُّغوية تعقيداتها الدُّلائِي، وسمتها التَّداولي، وحريتها التَّركيبية، ومادتها الصَّوتية ⁽⁶³⁾، ويرى السُّيسيي أَنَّ الْأَمْر هنا غير محصور في فقد هذه السمات، بل اكتساب سمات جديدة، فعالمة المستقبل (سـ) فقدت بِإنحائِها المحتوى الدُّلائي، وانتماها إلى "فئة كلامية مفتوحة" (Open Class)، كما فقدت استقلالها التَّركيبي، ومادتها الصَّوتية، ولكنها حصلت في مقابل هذا تغييرًا في المعنى، ومدى متسعاً من السياقات، ودرجة كبيرة من التَّواتر، وعمومية دلالية، وأصبحت في النهاية جزءاً من التصريف ⁽⁶⁴⁾. فالإنحاء آلياً يتضمن عمليات أربعة؛ الأولى هي "الخفوت الدُّلائي" ⁽⁶⁵⁾ أو "فقد المعنية" (Desemanticization) حيث

(62) ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني، ت 392هـ) : الخصائص، مرجع سابق، ص 21.

(63) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.15.

(64) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(65) واحد من المفاهيم المهمة في دراسة الإنحاء يشار به إلى فقد العناصر المعجمية لمعناها أو حالاتها المقولية حيث تتحول إلى مجرد علامات تؤدي وظيفة نحوية، ولهذا المفهوم عدد غير قليل من المصطلحات التي تعبّر عن مضمونه وهي: الضعف الدلالي (Semantic Weakening) (Guimier 1985:157)، Abstraction (Hein) (Willett 1988:80) Containment Hypothesis (Hein) (1991:41-45)، والعميّم الدلالي (Semantic Generalization)، والخفوت الدلالي (Semantic Depletion) (Weinreich in (Bybee et al 1994: 6) Reduction)، والنضوب الدلالي (Desemanticization) (Lehmann 1995:127)، وقد المعنية (Lehmann 1995:127)، نقلًا عن =

تفقد العناصر جزءاً كبيراً من محتواها الدلالي، والثانية هي "التّوسيع" (Extension) أو "التعييم السياقي" (Context Generalization) حيث يتم استعمال العناصر في سياقات جديدة، أما الثالثة فهي "فقد الاتّمام المقولي" (Decategorialization) حيث تفقد العناصر السمات الصرفية والتركيبية، والعملية الرابعة هي "التّاكيل" أو "التّقلص الصوتي" (Phonetic Reduction) وفقد المادة الصوتية، وعلى الرغم من أنَّ ثلاثة من هذه العمليات تنطوي -كما نرى- على فقد بعض الخصائص وخسارتها فإنَّ هناك مجموعة من الخواص المميزة التي تتسبّب بها هذه العناصر من استعمالها في سياقاتها الجديدة⁽⁶⁶⁾.

أفعال الشرُوع ومبدأ الاستمرارية

فالصيغ المنحاة يمكن أن تكتسب علاقات صرفية-تركيبية لم تكن لها من قبل في مقابل فقدانها لبعض السمات والخواص، ومثال هذا الفعل "أخذ" عندما يستعمل كفعل معجمي في مثل "أخذ الولد الكتاب" يمكن أن يتصرف زميّناً فيدل على الماضي والحاضر، أو أنْ يُبني للمجهول، أو أنْ يتبدّل رتبته مع فاعله ومفعوله، ويمكن أن تسبّقه أدلة نفي، ولكن عند إنجائه في مثل "أخذت الريح تعصف" ستقتيد رتبته، ويصبح متميّزاً إلى فئة مغلقة من الأفعال التي تُسمى «أفعال الشرُوع / الإنشاء»⁽⁶⁷⁾.

وأتصالاً بهذا الصنف من الأفعال في العربية من جهة وبأحد مبادئ الإنحاء من ناحية أخرى، أود أن أشير هنا إلى "مبدأ الاستمرارية" (Persistence)، ومفاده أن المصادر المعجمية رغم خصوصيتها لعملية الإنحاء فقد بعضها مادتها المعجمية، فإنَّ هناك حالات عديدة تستمر فيها معاني هذه العناصر الأصلية بدرجات مختلفة، بل إنَّ هذه المعاني لتأثير في الوظائف النحوية التي تحوزها

Mohssen Esseesy 2009b: Semantic Bleaching. p.160 in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (160-4). Leiden, Boston: Brill

(66) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: World Lexicon of Grammaticalization. p.2. Cambridge University Press.

(67) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

العناصر المنحّاة خلال مساراتها الإِنْحَايَّة (انظر فرضية تحديد المصدر في الصفحات التالية من البحث)، وهذا معناه أنَّ هناك آثاراً دلالية مصدرها المعاني المُعجميَّة الأصلية لتلك العناصر التي تُنعكس في صورة قيود تحكم توزيعها النَّحويِّ النَّاجم عن الإنْحاء⁽⁶⁸⁾، والمثال الذي يصرّبه "السيسي" نموذجاً لهذا المبدأ يتمثَّل في الفعل "قام" حيث يتم إنْحاؤه فيدخل ضمن فئة أفعال الشُّروع في قولنا: قامت المرأة تنوح. ففي رأيه أنَّ المفهوم الأساسيّ لهذا الفعل لم يختلف بشكل كامل، بل إنَّه مستمر في فرض بعض القيود على مدى العلاقات الدلالية لصيغته المنحّاة؛ فلا يدخل هذا الفعل (وهو من أفعال الشُّروع) في علاقات تركيبية مع أفعال أخرى تناقض مفهومه حيث تعد جملة "قامت المرأة تنم" جملة غير نحوية بسبب التَّضاد الحاصل بين "قامت" و"تنام"، وذلك عند مقارنتها بالبنية النحوية: "قامت المرأة من النوم"⁽⁶⁹⁾.

الأفعال الناقصة ومعجمية التصنيف النحوي

أمّا عن الأفعال الناقصة في اللُّغة العربيَّة سواءً في الفصحي التراثي أو في الدُّوارج واللهجات المعاصرة، فالنَّواسخ الفعلية مثل "كان" وأخواتها تعدّ أفعالاً ناقصة (Incomplete) (المعجميَّة) بعكس الأفعال التامة (Complete)⁽⁷⁰⁾ كاملة (المعجميَّة)؛ إذ تقتضي الأخيرة وفق قيود الانتقاء المقولية والدلاليَّة «اسماً» يكون فاعلاً تقع به، واسمًا أو جملة يكون مفعولاً تقع عليه، ولأنَّ هذه النَّواسخ «ناقضة» فهي لا تدل على أكثر من إطار زمني للجملة التي تحتويها، وتدلّنا على هذا معالجة "سيبويه" لهذه الأفعال فقد أوردها في باب "الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد"⁽⁷¹⁾ وذكر

(68) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.96.

(69) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.196.

(70) for more details see Hana Zabarah 2012: The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. pp.115-25. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.

(71) سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت 180هـ): الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، المجلد الأول، 1988، ص.45.

أنَّ كون اسم الفاعل هو عينه اسم المفعول يجعل هذا النوع من الأفعال صنفًا مميزًا يقول: "فمن ثُمَّ ذُكِرَ [هذا الفعل] لحده [وخاصيته المميزة]"⁽⁷²⁾، ثُمَّ قال: "ولا يجوز فيه الاقتصر على الفاعل كما لم يجز في ظنت الاقتصر على المفعول الأوَّل؛ لأنَّ حalk في الاحتياج إلى الآخر ه هنا، كحالك في الاحتياج إليه ثُمَّة"⁽⁷³⁾، ثُمَّ مثل "سيبويه" لهذه الأفعال بمجموعة صغيرة منها «كان ويكون، وصار، وما دام، وليس»⁽⁷⁴⁾، وترك عنوانًا عريضًا لما يمكن أنْ يسلك سلوك هذه الأفعال فقال: "وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر"⁽⁷⁵⁾، ف "سيبويه" - وإنْ فُهمَ من عنوان الباب أنه يجعلها أفعالًا فقد - جعل لها اسمًا للفاعل واسمًا للمفعول هو عينه اسم الفاعل، ولم يجعل لها فاعلاً ومفعولاً بالمعنى الذي نجده مع غيرها من الأفعال التامة الحقيقة، وفطن «سيبويه» إلى أنَّ هذه الأفعال وإنْ كان يجوز في تراكيبيها ما يجوز في تراكيب غيرها من الأفعال من التقديم والتأخير إنما تدل فقط على الزَّمان، يقول: "تقول: كان عبد الله أخاك، فإنما أردت أنْ تخبر عن الأخوة، وأدخلت "كان" لتجعل ذلك فيما مضى ... وإنْ شئت قلت: كان أخاك عبد الله، فقدّمت وأخرت كما فعلت ذلك في "ضرب" لأنَّه فعل مثله، وحال التقديم والتأخير فيه كحاله في (ضرب)، إلا أنَّ اسم الفاعل والمفعول فيه سواء"⁽⁷⁶⁾.

فهذه الأفعال الناقصة تسلك السُّلوك التّركيبيّ نفسه للأفعال التامة، والفرق أنَّها ليست أفعالًا بقدر ما هي علامات دالة على الزَّمان وبقدر كون هذا السُّلوك جزءًا مما اكتسبته بمعاملتها معاملة الأفعال الأخرى، ويبدو هذا جليًّا في قول «سيبويه»: "وقد يكون لـ (كان) موضع يقتصر على الفاعل فيه، تقول: قد

(72) سيبويه: الكتاب، السابق نفسه.

(73) سيبويه: الكتاب، السابق نفسه.

(74) سيبويه: الكتاب، السابق نفسه.

(75) سيبويه: الكتاب، السابق نفسه.

(76) سيبويه: الكتاب، السابق نفسه.

كان عبد الله، أي قد خلق عبد الله، وقد كان الأمر، أي وقع الأمر، وقد دام فلان، أي ثبت، كما تقول: رأيت زيداً، تريد رؤية العين، وكما تقول: أنا وجودته، تريد وجدان الصالة، وكما يكون أصبح وأمسى مرة بمنزلة (كان)، ومرة بمنزلة استيقظوا وناموا⁽⁷⁷⁾، ثم ضرب "سيبويه" مثالين وردت فيهما (كان) بمعنى (وقع)، الأول لـ "مقاس العائديّ"، والثاني لـ "عمرو بن شَائِس"⁽⁷⁸⁾.

وكي يتتأكد لنا هذا دعنا ننظر في رؤية النّحاة بعد «سيبويه» لـ (كان) وأخواتها كما أشارت إليها دراسة Hana Zabarah 2012، فـ «المفرد» (ت 282هـ) يرى أنها أفعال صحيحة (لأنَّها تتصرف تصرف الأفعال في الزَّمن ومع الضَّمائر المختلفة)، ولكنها أفعال غير حقيقة (لأنَّ اسمها وخبرها الشيء نفسه)، وهي لا تغيير معنى الجملة إنَّها تشير فقط إلى زمنها، ويرى «ابن السراج» (ت 318هـ) أنها أفعال غير حقيقة لأنَّ الفعل الحقيقي هو ما دلَّ على معنى وزمان، أمَّا (كان) وأخواتها فتدل على الزَّمان فقط. أمَّا «الزجاجي» (ت 340هـ) فقد تحذب استعمال مصطلح "الفعل" وعد "كان" وأخواتها حروفاً، فإذا وصلنا إلى "البطليوسي" (ت 521هـ) وجدنا قوله إنَّ "الفعل الصحيح إنَّها وضع في أصل وضعه ليدل على حدث واقع في زمان مُحصل ، وذلك الحدث هو خبره الذي يستفيد المخاطب منه إذا ذُكر، وذلك الحدث الذي هو خبره مُضمن فيه غير خارج عنه، وأحداث هذه الأفعال التي هي أخبارها خارجة عنها غير مُضمنة فيها"⁽⁷⁹⁾.

إنَّ هذه المقاربات وإنْ كانت "نحوية" بالأَساس قصدت إلى بيان علاقة الكلمات بعضها بعض داخل الجمل ودلالة مثل هذه العلاقات، فإنَّها لم تغفل "معجمية" الأفعال أساساً للتferiq بين ما هو فعل حقيقي وما هو فعل غير حقيقي، فـ "كان" وأخواتها أفعال غير حقيقة لأنَّها فقدت دلالتها على الحدث الذي يفيده المخاطب متى ما سمع الفعل في أقل سياق أي مُنفرداً؛ إذ أصبحت

(77) سيبويه: الكتاب، السابق، ص 46.

(78) انظر سيبويه: الكتاب، السابق، ص 46، 47.

(79) see Hana Zabarah 2012: op. cit. p.118; 119; 120; 122.

أحداثها -بتعبير "البطليوسي"- خارجة عنها غير مُضمنة فيها، وهذا ربما السبب الذي حدا بـ"الزّجاجي" أن يجعلها حروفاً أو قل بالمصطلح المعاصر كلمات وظيفية، فـ"الفقد التّدرجي" للسمة المميزة للأفعال، والاكتساب التّدرجي لسمات نحوية مختلفة هما السبب وراء صعوبة تصنيف الأفعال الناقصة ووراء الخلاف بين النّحاة الآتین في النّظر إلى هذه العناصر بوصفها أفعالاً أو عدّها مقوله قائمة بذاتها"⁽⁸⁰⁾.

وتؤكدأ على ما سبق من رؤى النّحاة العرب لـ"كان" وأخواتها أورد "ابن منظور" لـ"كان" النّامة العديد من المعاني المعجمية منها: وقع / وجد واستقر / خلق / مضى وتقضى⁽⁸¹⁾، وله على كل معنى من هذه المعاني شاهد أو أكثر من الشواهد الموثقة. أمّا عن "كان" النّاقصة في هذا المعجم فأكتفي فيها بما اقتبسه "ابن منظور" عن "ابن بري"، قال: "واعلم أنه يُلحق بباب (كان) وأخواتها كُل فعل سُلب الدلالة على الحدث، وجُرد للزّمان، وجاز في الخبر عنه أن يكون معرفة ونكرة، ولا يتم الكلام دونه، وذلك مثل: عاد ورجع وآض وأتى وجاء وأشـاهـها"⁽⁸²⁾. وهنا نرى أنّ مثل هذه الأفعال فقدت دلالتها على الحدث واكتسبت معنى نحوياً (وفق آلية فقد المعنية)⁽⁸³⁾، أضف إلى هذا أنها فقدت الخصائص المميزة للأفعال الحقيقة وتجبردت فقط للدلالة على الزّمن (وفق آلية فقد الانتهاء المقولي)⁽⁸⁴⁾، هذا بالإضافة إلى آلية "التّكـلـ الصـوـقـيـ"⁽⁸⁵⁾ فقد رأت إحدى الدراسات أنَّ (كـ Ka) في الدّارجة المغربية في مثل: (كيكتب

(80) adapted from Joan Bybee & Joanne Scheibman 2007: The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. p.295. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press

(81) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد الثالث عشر، ص365 وما بعدها.

(82) ابن منظور : السابق نفسه، ص.368

(83) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2002: On the Evolution of Grammatical Forms. p.379. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. pp. 376-97. Oxford University Press.

(84) see Ibid., p.379.

(85) see Ibid., p.379.

(Ka-yekteb) هي صيغة متباعدة من الفعل (كان)⁽⁸⁶⁾، وترى ثريا عامر أنه "يمكننا أن نؤول التطور الحاصل في قائمة الأفعال الناقصة باشتغال آلتي" "القياس Analogy" و "إعادة التحليل" (Reanalysis) في نسج فعل (ب) على منوال فعل آخر (أ) يشبهه في وجه من الوجه، فيستحدث للفعل بنية نحوية جديدة يُصنف على أساسها ضمن مجموعة الأفعال الناقصة، مثل ذلك ما ذكره "الرضي" في "كَمُلَّ" التي لا يذكرها "سيبويه" ولا "ابن يعيش" قبله، فيذكر المثال التالي مستدلاً على وجه استعمال "كَمُلَّ" ناقصة: كَمُلَّ زِيدٌ عَالِمًا، أي: صار⁽⁸⁷⁾.

إنَّ القضية الآن بالنسبة إلى المعجمي لم تعد فقط دلالات قائمة الأفعال الناقصة المعروفة، بل كافة الأفعال التي تنسحب عليها سمات أفعال هذه القائمة فتؤدي أداءها ومعناها قياساً. إنَّ ثمة فرقاً بين فعلٍ تامٍ معجمياً له دلالة وسلوك تركيبي واضحان، وبين فعلٍ ناقصٍ يفقد جزءاً كبيراً من معناه الذي وضع له؛ ليسلك سلوك الأفعال الأخرى وإنْ كانت دلالته تخلص في إطار هذا السلوك لمعنى مختلف وثابت؛ لذا فإنَّ فقد الأفعال الناقصة لجزءٍ من معناها وخلوص

(86) see Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet 2009: The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology. No.44. Mouton de Gruyter. pp. 325-361

(87) ثريا السكري عامر : مرجع سابق، ص 97، 98. والقياس l'analogie بالسبة إلى ما فيه قادر على إعادة التفاصيل المتعلقة بالصيغة وتجديدها مع الاحتفاظ بالصورة الكلية للنظام التحوي الموجود والدوران في فلكله. (see Antoine Meillet (Ed.) 1948: op. cit., p.133) ، أمّا إعادة التحليل Reanalysis فهي بحسب رولاند لانجكير Roland W. Langaker (1977) تغيير بنية تعبير معين أو فئة كاملة لا يصحبه تعديل مباشر أو جوهري في المظهر السطحي لهذا التعبير، ويعرّفها آلن تمبرلوك (Alan Timberlake 1977) بأنّها صياغة فئة جديدة عن طريق العلاقات والقوانين الكامنة.

after Mohsen Esseesy 2009a: Reanalysis. P.37. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (37-43) Leiden, Boston: Brill.

وكلتا الدراستين تجدهما في:

James Li 1977 (Ed.): Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

عناصرها لنمطٍ تركيبٍ مختلفٍ له ما يميزه عن غيره من مناويل الأفعال الأخرى هو دليلٌ على سلوك هذه العناصر لمسارٍ معين من مسارات الإنحاء.

إنَّ القضية تتعلق هنا بضرورة معرفة ما هو نحويٌّ وما هو معجميٌّ، فهذه المعرفة تعدُّ أساسية في دراسة الإنحاء من ناحية، وفي صناعة المعجم أيًّا كان نوعه من ناحية أخرى، وأضرب هنا مثلاً من بحث جورج متري عبد المسيح صاحب معجم "لغة العرب" يوضح أهمية هذه القضية، وهو وإنْ كان مثلاً مُطولاً لكنَّه مهم في هذا السياق، يقول "جورج" تعليقاً على مادة "خلفٍ"⁽⁸⁸⁾ في بعض المعاجم العربية، وقد اخترت هذه الكلمة لأنَّه يُنظر إليها في إحدى دراسات الإنحاء في اللغة العربية على أنها صيغة منحاة عن الاسم "الخلف"⁽⁸⁹⁾، فأردت من وراء هذا المثال أنْ نتيَّن علاقتها بهذا الاسم داخل المعاجم العربية، وأنْ نستكشف خصائص المعالجة المعجمية لهذه الكلمة والنتيجة التي يمكن أنْ تترتب على معرفة المعجميَّة منها منحاة:

(خلف) ظرف بمعنى: موجود في مكان غير مواجه وغير جانبيٍّ، وهو منصوب إذا أضيف: جعله خلفَ ظهرِه، أو إذا قطعَ عن الإضافة لفظاً ومعنى: جعله خلفاً، ويبني على الضم إذا قطعَ عن الإضافة لفظاً لا معنى: جعله خلفُ أي خلفه، مرَّ من خلفُ أي من خلفِه.

ورَدَت "خلفٍ" في مدخل مُستقلٍّ لأنَّها مادة لغوَّة - نحوَّة أو نحوَّة - لغوَّة، لا يجوز حشرها مع المدخل - الاسم (الخلف)؛ فهي لا تدخلها (أَل)، ولا تُجمَع مثل "الخلف" الاسمية على أَخْلاف وخلوف. ولا تُصبح اسمًا إلا إذا

(88) جورج متري عبد المسيح (2014) 2016: دورُ المعجم العربي في إحياء التراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، بحث أُلقي في الموسم الثقافي لدار الآثار الإسلامية بدولة الكويت، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ص 19 وما بعدها، أُعيد نشره ضمن كتاب «المعجمية العربية، قضايا وآفاق، الجزء الثالث»، إعداد متصرِّف أمين عبد الرحيم، وحافظ إسماعيلي علوى، إربد: دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، انظر ص 93 وما بعدها.

(89) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

- خرجت عن الظرفية... ولذلك فإن حشرها مع مادة "الخلف" في المعاجم الجذرية الترتيب تصنيف أو ترتيب في غير محله... .
- وَرَدَتْ في حالة النصب مُراعاة لـأحوالها الغالبة... وهي تبني على الضم في محل نصب في حالة واحدة... ولذلك فإن المعاجم القديمة والحديثة: أخطأت في ترتيبها وفي تحريكها إعرابياً بحيث غلبت الأقل على الأكثر عندما وضعت "ضمّة" على الفاء. والأسوأ أن بعض المعاجم النطقية الترتيب، (معجم عبد النور المفصل الثنائي اللغة، عربي فرنسي)، وضع ضممتين على الفاء "خلف"، ومن نافل القول أن "خلف" لا تترك بدون تحريك... .
 - يتسم تعريف "خلف" في المعاجم بالقصور والدور، ففي المعجم الوسيط مثلاً، وَرَدَ في مادة "الخلف": ضد قِدَام (مؤنثة) يكون ظرفاً [تكون: أولى]، وقد يخرج عن الظرفية فينصرف.
 - إذا بحثنا في الوسيط عن "قِدَام" وَجَدْنَا أَنَّهَا: ظرف بمعنى أمام، فإذا فتَّشنا عن "أمام" وَجَدْنَا أَنَّهَا: ظرف بمعنى قِدَام، وهكذا تتسم التعريفات بالقصور وبالدور... وقد اضطر الوسيط في آخر التعريف إلى أن يقول: يكون ظرفاً وقد يخرج عن الظرفية فينصرف، لأنَّه ذكرها مع المادة الاسمية (الخلف). أمّا قوله: فينصرف فيه ترخيص في التعبير، لأنَّ المقصود "فيتصرف" أي لا يلازم النصب على الظرفية... .
 - (مؤنثة) ليست دقيقة لأنَّها من الكلمات التي تؤنث وتذكرة، وهنا بالذات ليس لها ضرورة لأنَّها ليست موصوفاً لحتاج إلى تأنيث صفتة أو تذكيرها.
 - وأخيراً فإنَّ كلمة "خلف" تنتمي إلى مجموعة معجمية - نحوية أو نحوية - معجمية تسمى "ظروف الغaiات" ومن أفرادها: أَسْفَلَ، أَمَامَ، بَدَلَ، بَعْدَ، تَحْتَ، دُونَ، شَمَالَ، فَوْقَ، مَكَانَ، وَرَاءَ، يَمِينَ... .
- وعلى الصناعة المعجمية العلمية أن تراعي:
- وجودها في المعجم الشامل (قانون التكامل).
 - توحيد شروحها (قانون التمايز).

- تمييز مَوَادُهَا بِأَنْ تَكُونُ الْواحِدَةُ مِنْهَا مَصْرُوفَةً، وَالْأُخْرَى مَمْنُوعَةً مثلاً (قانون المغایرة).
- وَمُرَاعَاةُ هَذِهِ الْقَوَانِينِ أَوِ الْمَبَادِئِ دَلِيلٌ عَلَى عَقْلٍ تَنْظِيمِيٍّ، وَعَلَى وَعْيٍ لُغويٍّ وَعِلْمِيٍّ، وَعَلَى وَجُودِ مَنْهَاجٍ، صَرِيحٍ، أَوْ ضَمِنِيٍّ نَاظِمٌ لِلْمَوَادِّ، وَلَوْ لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ الْمَعْجمِيُّ ...

نرى من خلال هذا المثال أَنَّ "خَلْفَ" تنتهي كما ذكر جورج عبد المسيح إلى مجموعة (نحوية/معجمية) أو (معجمية/نحوية) وهذا معناه أَنَّ (1) على صاحب المعجم أَنْ يعي الحدود بين ما هو معجميٌّ وما هو نحوبيٌّ، وما هو معجميٌّ تحول إلى نحوبيٌّ أو العكس، أمّا ملاحظة أَنَّ "خَلْفَ" لا بد أَنْ تشكّل مدخلاً مستقلاً بعيداً عن الاسم "الخلف" لأنَّها لا تقبل الألف واللام، ولا تُجْمَعُ، وغير هذا من علامات الاسم الَّتِي فقدتها، فكل هذا يدل على (2) ضرورة الفصل بين الصيغة المنحاة والصيغة الَّتِي تطورت عنها واعتبار كل واحدة منها مدخلاً مستقلاً، ولكن لا يمنعنا هذا من (3) الإشارة إلى العلاقة الَّتِي تجمع بين الصيغتين سواءً أَكانت هذه العلاقة ناشئة عن الإنحاء أم عن المعجمة، مع وضع رمز معين لكل منها.

الخروج عن المسار

ولعلّ عَنْصَرًا مُعِينًا عند نقطة ما على مسار الإنحاء لا بد أَنْ يكون موسوماً بمجموعة معينة من الصّفات الصوتية والفنون لوجية والتّركيبية والدلالية الَّتِي تميّزه عما يسبقه أو يتلوه من العناصر المتصلة به على هذا المسار، وقد يخرج هذا العنصر عن المسار عند نقطة معينة دون غيرها، فإذا كان مسار الإنحاء يبدأ بعنصر معجميٍّ فليس من الضروري أَنْ ينتهي بلا حقة تصريفية كما في مخطط "هوبير" و"تروجت"؛ فالشيء الأَكْبَرُ أَهميَّةُ فِي نظر "السيسي" أَنَّ اللَّوَاصق التّصريفية ليست هي النتيجة النهائية لعملية الإنحاء، وهذا معناه أَنَّ فقد

المورفيم أو تقليله إلى الصفر ربما يكون المحطة الأخيرة من تطور بعض الصيغ المنحاة كما في دورة تاملي جيفون (Tamly Givón) للإنحاء⁽⁹⁰⁾:

الخطاب < التركيب < المورفولوجي < المورفيميات الصوتية < صفر

فالعناصر المعجمية كما يرى "السيسي" قد ترك مسار إنحائها عند نقطة تسبق مرحلة اكتهاله، ولا تقدم عليها خطوة إضافية، كما في حالة كثير من الأسماء والصفات العربية التي تحولت إلى ظروف، مثل: (أحياناً < أحياناً / كثيراً > كثيراً)، ويُطلق على مثل هذا التحول "عكس المقوله" (Category Conversion⁽⁹¹⁾)، ويمكن لنا قياس (قريب < قريباً) و(بعيد < بعيداً) و(قليل > قليلاً) وأشباهها على هذا الصنف من التحول. وهذا معناه بالنسبة إلى المعجمي المؤرخ ألا يتم الجمع والحال هذه بين الاسم والظرف أو بين الصفة والظرف في مدخل واحد لاختلاف صنفهما المقولي من ناحية، ولسبق الأولى الثانية من ناحية أخرى ما لم نجد من الشواهد ما يخالف هذا.

فرضية تحديد المصدر

إن إحدى أهم الفرضيات التي وضعتها بيري وآخرون (Joan Bybee et al 1994) في سبيل بناء نظرية عن الإنحاء هي "فرضية تحديد المصدر" (Source Determination Hypothesis⁽⁹²⁾) ومؤدي هذه الفرضية أن "المعنى الحقيقي للبنية موضع الإنحاء يحدد بصورة أساسية مسار هذا الإنحاء، ويحدد وبالتالي المعاني النحوية الناجمة عنه"، وهذا يستتبع النظر في المعاني التي تعمل بوصفها مصادر للإنحاء، فليست جميع المعاني قابلة للإنحاء، وإذا كان الإنحاء ينطوي على تغير دلالي، فإن «التغيرات الدلالية التي تؤدي إلى الإنحاء وتستمر خلاله هي التغيرات التي تضاعف عمومية معنى الصيغ المنحاة»⁽⁹³⁾، فالعناصر المعجمية موضع

(90) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(91) Ibid., p.192.

(92) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca 1994: op. cit., p.9.

(93) Ibid., p.9.

الإنحاء تخضع بالفعل لتغيرات دلالية تؤدي إلى تعميم يمثل في العادة السمات الدلالية لمجالاتها التي تتسم إلية، أمّا العناصر المعجمية التي لا يمكن وسمها بعمومية دلالية أو العناصر النحوية التي ربما شتركت في البنية المصدر، فهذه يمكن تأويلاً لها - كما صنعت "بيبي" وأخرون⁽⁹⁴⁾ - كي تعادل حالات أفعال الوجود والملكية والتّموضع الفيزيائي والحركة في فضاء مكاني وغيرها من الأفعال الموسومة بالتّعميم، ولكن إلى جانب العمومية الدلالية هناك المفاهيم الأساسية غير القابلة للاختزال التي تشكّل أساس المعاني النحوية في اللغات البشرية، هذه المفاهيم هي ما يجري عليه الإنحاء، ورأت "بيبي" وأخرون أنّ هناك دراسات أخرى توصلت إلى مثل هذه النتيجة؛ فـ «تروجت» (Traugott 1982: 246) أشارت إلى أنّ المفاهيم المصدر هي المفاهيم التي تعدّ أساسية في الموقف الكلامية، كمالاحظ «هين» و«كلودي» و«هنمير» (Heine, Claudi, and Hunnemeyer 1991: 33) أنّ التّصورات/ المعاني المصدر موضع الإنحاء هي التّصورات الأساسية في التجربة الإنسانية، وأنّها إلى حد كبير تصورات مستقلة ثقافياً؛ لأنّه يتم فهمها وإدراكتها بطريقة ثابتة رغم اختلاف اللغات والأعراق⁽⁹⁵⁾.

وأحسب أنّ تلك النتيجة يمكن دعمها وتأكيدها من خلال نتائج أخرى توصلت إليها بعض دراسات الإنحاء التي اهتمت بما يطلق عليه "الخفوت الدلالي" أي بالسؤال عن طبيعة المعاني التي تفقدتها العناصر المعجمية أثناء رحلتها الإنحائية حيث ترى إحدى هذه الدراسات أنّ ما تفقدته العناصر

(94) see Ibid., p.9;10.

(95) after Ibid., p.10.

والدراسات المشار إليها في الاقتباس على التوالي للإطلاع هي:

- Elizabeth Closs Traugott 1982: From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. 245-71. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

المعجمية في الإنحاء هو "المعاني غير المنطقية" (non-Logical Meanings)⁽⁹⁶⁾، ومعنى هذا أنَّ ما يبقى لها هو المعانِي الأَسَاسِيَّة أو قُل النَّدَرَات الدَّلَالِيَّة الأَسَاسِيَّة الأَكْبَر عموميَّة، ولقد قرَر «هوبِر» و«تروجت» أنَّا حين ننظر إلى المعجم لا يمكن أنْ نتصوَّر أَنَّه يتضمن فقط السَّمَات التَّركيبِيَّة أو الصَّوتِيَّة (Lexicon) للعناصر المعجميَّة، بل يجب أنْ يحفل إلى جوار هذه بسمات تلك العلاقات الدَّلَالِيَّة بين الكلمات داخل المجالات الدَّلَالِيَّة التي تكون منها؛ إذ من المفترض أنَّ المعانِي المعجمية القابضة للإنحاء هي المعانِي الَّتي تتسم بقدرٍ عالٍ من العموميَّة - أو ما اصطلاحاً عليه بـ "الكلمات الأَسَاسِيَّة" (Basic Words) - في مقابل الكلمات الأَكْبَر خصوصيَّة داخل المجال الدَّلَالِي⁽⁹⁷⁾، أَضف إلى هذا أنَّ العناصر القابضة للإنحاء تمثِّل مظاهرًا أساسية وثابتة في علاقة الإنسان بالبيئة لاسيما البيئة المكانية⁽⁹⁸⁾، ولعل أحد الأمثلة المهمة الَّتي ضربتها «بيبي» وزميلاتها في هذا الإطار هو استعمال الكلمات الدَّالة على أعضاء جسم الإنسان في بنى نحوية تشير إلى علاقات مكانية، وأشاروا إلى عدة دراسات قامت بتوثيق ظاهرة استعمال الكلمة "Face" ليس بمعنى "وجه" إنَّما بمعنى "in front of" وذلك في عدة لغات لا تجمع بينها صلة أو قرابة، الأَكيد أنَّ كلمة "Face" تعدُّ ميزة بمعناها حيث تشير إلى عضو محددٍ ومعقَّدٍ من أعضاء جسم الإنسان، ولكن لاحظ أنَّها ليست "وجه" بهذا المعنى هي ما يدخل ضمن تلك البنى نحوية؛ فربما خضعت الكلمة لتعيم دلالي عن طريق المجاز كي تؤدي معنى "Front" كما في التَّعبير الإنجليزي "the face of the cliff" وجه الهاوية / مقدمة الهاوية، ثم دخلت -بعد أنْ دلَّت على علاقة مكانية عامة- مساراً إنحائياً ليصبح من خالله حرف جر. ومن ثَمَّ قرَر المؤلفون أنَّه في سبيل تقصي أصل المعنى النَّحووي لابد أنَّ

(96) after Ian Roberts 2010: Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. p.66. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

(97) adapted from Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.101f.

(98) after Joan Bybee 2003: op. cit., P.151.

ننظر في البعد التّركيبّي والصّرفي لبنيّة المصدّر، وليس في المعنى الإِحالّي لعناصرها المعجميّة⁽⁹⁹⁾.

المصدّر والمهدّف

إنَّ فرضيّة تحديّد المصدّر تؤكّد على أنَّ سمات دلاليّة معينة لها علاقتها – أولاً – بما يجوز إِنحاؤه وما لا يجوز، وبالمسار الذي يسلكه هذا الإنحاء – ثانِياً – وبطبيعة المعاني الناتجة عنه – ثالثاً – وبالعلاقة بين مصدر الإنحاء (الكلمة أو الصيغة أو البناء التي يسري عليها الإنحاء) وهدفه (الصيغة النهائية الناشئة عن الإنحاء) – رابعاً – ولها كذلك أُثُرها في طبيعة هذه العلاقات. فالإنحاء إذن ليس مسأّلة اعتباطيّة إنما هناك جملة من الخصائص التي تميّز الصيغ القابلة للإنحاء استنبطها الباحثون من خلال جرد سمات العديد من هذه الصيغ في لغات مختلفة.

وتؤكّد "بيبي" بشأن المصادر المفاهيميّة لعملية الإنحاء أنَّ العلاقة المكانية بين شيئاً دائماً ما يتم التعبير عنها في كثير من اللّغات عن طريق علاقة أحد أعضاء جسم الإنسان ببقية الأعضاء الأخرى؛ وعليه فإنَّ الاسم رأس (Head) يشارك في معنى "حروف الجر on the top of / top / on" ، ويستعمل الاسم خلف (Back) في معنى in back of ، أمّا الاسم وجه (Face) فيستعمل في معنى "in front of" ، كذا قررت أنه من خلال تقسيم هذه الوحدات العلاقيّة في 125 لغة إفريقيّة، توصلت دراسة «هين» ورفيقاه (Heine et al 1991) إلى أنَّ أكثر من ثلاثة أربع العناصر (المفردات) مشتقة من أسماء أعضاء جسم الإنسان، أمّا سفورو (Svorou) 1993 فقد توصل من خلال بحث أُمثاله مختلفة من جميع الفصائل اللّغوّيّة إلى أنَّ أعضاء الجسم البشري هي مصدر هذه الوحدات العلاقيّة، أضاف إلى هذا أنَّ العلاقة بين هذه العناصر المكانية والنّظام النحوّي المجرد تم التّأكيد عليها منذ السّبعينيّات حين اقترح أندرسون (Anderson 1971)

(99) after Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca 1994: op. cit., p.10-11.

نظريّة لـ "الحالات النحوية" (Grammatical Cases) تقوم بالأَساس على العلاقات المكانية⁽¹⁰⁰⁾.

وعلى الرُّغم من أنَّ بعض الأمثلة السابقة ربما تقترح علاقة أَحاديَّة (من واحد إلى واحد) بين المفهوم المصدر والمُهدَف؛ بمعنى أنَّ ناتج عملية الإنحاء عنصر وحيد، يرى "السيسي" العلاقة بينها على العكس من هذا علاقة (واحد متعدد)؛ بمعنى أنَّ مفهوم مصدر وحيد يمكن أنْ يكون له أكثر من هدف؛ أي أنَّ إنحاء هذا المصدر يتوجُّ الكثير من العناصر والصيغ المرتبطة بهذا المصدر، وشاهده على هذا من العربية كلمة (سواء)، فالصيغ المتاحة عن هذه الكلمة تتضمن الرابط (سواءً)، وأداة الاستثناء (سوى)، و(لاسيما)، فهذه الأمثلة برأيه شاهدة على ما اصطلاح عليه كولت كريج (Colette Craig) سنة 1991 بـ "الإنحاء المتعدد" (Polygrammaticalization)⁽¹⁰¹⁾.

ومن أمثلة الإنحاء المتعدد أيضًا (حتى)، يقول "ابن منظور": "قال الأَزهري": ... وقال بعضهم (يقصد: النَّحويُّين): حتَّى فعلٌ من الحَتِّ، وهو الفراغ من الشَّيء مثل شَتَّى من الشَّتَّ، ... وقال "الجوهري": حتَّى فعلٌ، وهي حرف"⁽¹⁰²⁾، ومن المعاني الأخرى التي ذكرها "الجوهري": تكون جارة بمنزلة

(100) see Joan Bybee 2003: op. cit., P.152.

والدُّراسات المشار إليها في الاقتباس على التوالي للإطلاع هي:

- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.
- S. Svorou 1993: The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- J. M. Anderson 1971: The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press

(101) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

ودرسة كولت كريج المشار إليها عنوانها:

Colette Craig 1991: Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.2: 455-92. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company

(102) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد 2، ص 23، 24

(إلى) في الانتهاء والغاية، وتكون عاطفة بمنزلة الواو، وقد تكون حرف ابتداء، يُستأنف بها الكلام بعدها⁽¹⁰³⁾، ويرى «السيسي» أنَّ مثل هذه المعاني الدلالية والوظائف النحوية لكلمة (حتى) توضح لنا أنَّ هذه الكلمة المشتقة من مصدر اسميٍّ جرى عليها ما يسمى «إعادة تحليل» (Reanalysis)⁽¹⁰⁴⁾ فاستعملت كحرف جر وكأداة، وأنَّ من آثار إعادة التحليل تعدد الوظائف والعلاقات التَّركيبية الخاصة بهذه الكلمة⁽¹⁰⁵⁾، ولكنَّه يرى من ناحية أخرى أنَّه ربما ينشأ عن الإنحاء المتعدد غموض دلاليٍ وتركيبيٍّ، مثال هذا استعمالنا (حتى) كحرف جر في مثل قولنا: أكلتُ السمكة حتى رأسها. الذي يتعارض مع استعمالها كأداة حيث يصبح المعنى: (أكلتُ السمكة، وحتى الرأس أكلتها)⁽¹⁰⁶⁾.

إنَّ وجود أسماء أعضاء جسم الإنسان في صدر مسار إنحائِيٍّ تشير نهايةً عن حرف جر يتمتع بمفهوم دلاليٍّ تضمنه دلالات هذا الصدر أو المصدر باصطلاح أهل الإنحاء ووفقاً لـ«فرضية تحديد المصدر SDH» يذكُرنا بمقاربة «بروكلمان» لحروف الجر في اللُّغات الساميَّة - التي أشرت إليها في بداية هذا البحث - حيث افترض أنَّ حروف الجر في اللُّغات الساميَّة تطورت عن الأسماء التي تشير إلى أعضاء جسم الإنسان، وأنَّ تطورها هذا مرَّ بمراحل أربعة من خلال آليَّات ثلاثة هي: فقد المحتوى الدلالي (من المرحلة الأولى إلى الثانية)، وـ«التَّحجر» (fossilization) (من المرحلة الثانية إلى الثالثة)، والتقلص إلى وظيفة نحوية خالصة (في المرحلة من الثالثة إلى الرابعة)⁽¹⁰⁷⁾.

وفي اللُّغة العربية واتصالاً كذلك بالمصادر المفاهيمية للإنحاء وسمات العناصر المنحاة أشار «السيسي» إلى أنَّ أسماء أعضاء جسم الإنسان التي تشير إلى علاقات مكانية يتم إنحاوها كحروف جر: (فو - فم <في>)، و(<وسط> <وسط>)،

(103) ابن منظور : السَّابق نفسه، ص24.

(104) راجع الhamash رقم 86 من هذا البحث.

(105) see Mohssen Esseesy 2009a: op. cit. p.39.

(106) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

(107) see Christian Lehmann 2011: op. cit., p.2.

و(<خلف>، و<قدم>)، على عكس العناصر المحددة دلاليًا مثل (<كاحل->مش->غيرها)⁽¹⁰⁸⁾. وجدير بالذكر هنا أنَّ "السيسيي" قارب في رسالته للدكتوراه التي نشرتها "Brill" سنة 2010 "إِنْحِاء حروف الجر في اللُّغة العربيَّة"، وقد قامت الدراسة على مدونة لا بأس بها⁽¹⁰⁹⁾ من النُّصوص العربيَّة القديمة والمعاصرة (شملت القرآن الكريم، وألف ليلة وليلة، وبعض الروايات والأعمال الإبداعية المعاصرة بالإضافة إلى عددٍ لا بأس به من الأعمال السياسيَّة والثقافية، وبعض الصُّحف المصريَّة كالآهram والحياة والوطن والتَّجديد، والكتابات اللهجويَّة مثل دردشة مصرية)، وكان من الإجراءات اللافتة في هذه الدراسة توسيع فئة حروف الجر اعتمادًا على التَّشابهات الوظيفيَّة المشتركة بينها وبين فئات وظيفيَّة أخرى لتشمل على سبيل المثال بعض الظروف كفئات فرعية لها⁽¹¹⁰⁾؛ لذا تتجدد في الاقتباس السابق يجمع بين (في ووسط وخلف وقدم)، وتتلخص وجهة نظره في أنَّ الوظائف المتعددة التي تؤديها مثل هذه الفئات أو متصل الوظائفية التَّدرُجِيَّ (Gradational Continuum of Functionality)⁽¹¹¹⁾ الخاص بها يتحدى ذلك التَّصنيف التُّراثيِّ الضيق، وأنَّه من غير المنطقي أن يتم حصر هذه الكلمات في مقوله تركيبية لا تعكس ذاك المدى الواسع من وظيفتها أو استعمالاتها داخل السياقات المختلفة⁽¹¹²⁾. وبغض النظر عن تصنيفه لهذه العناصر والعناصر المشابهة لها وظيفيًّا فإنَّ مناقشة صحة هذا التَّصنيف أو عدم صحته (وهو ما يقع بعيدًا عن مجال هذه الدراسة) لن تقدح في مقاربته للإنحاء الحاصل في تلك

(108) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

(109) يرى «ويلمسن» أنَّ هذه المدونة تعتبر صغيرة نسبيًّا، وأنَّها ربما كانت مناسبة وقت اعتماد دراسة الدكتور السيسيي عليها غير أنها خضعت للتحديث. انظر:

Von David Wilmsen 2011: On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. p.1 In Orientalistische Literaturzeitung 106 (6): 1-9

(110) see Mohssen Esseesy 2010: Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study. p.339. Leiden: Brill

(111) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.344.

(112) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.348.

العناصر، وهو ما يشغلنا في البحث الحالي، ومن أمثلة هذه الدراسة إِنْحَاء حرف الجر (في) كما يمثله الجدول التالي⁽¹¹³⁾ :

Stage	Period	Primary function	Form	Category
0	Pre-Classical	Concrete reference to body part	fū/fi/fā 'mouth'	Noun
I	Pre-Classical	Complement of bi-; preposition	bi-fū/fī 'within'/ in, at	Nominal dependent/preposition
II	Classical/ Pre-Modern	Preposition	fī	Preposition
III	Modern	Preposition/particle	bada'a fī	Adprep
IV	Modern	Textual organizer	fī l-wāqi'i 'indeed'	Clause linker
V	Modern	Existential pronoun	fī 'there is'	Pronoun
VI	Modern	clitic	f- fēn 'where'	Phoneme (e.g., in

ووفقاً لهذا الجدول يمكننا القول إن إِنْحَاء حرف الجر (في) مرّ بست مراحل؛ أولها تحول هذه المفردة [[من اسم معجمي دال على عضو من أعضاء جسم الإنسان (فو - في - فا) > إلى مكمل [اسمي] لحرف الجر الباء في مثل (بني)]] في عربية ما قبل الفصحي، > ثم إلى حرف جر (في)] في العربية الفصحي وما قبل المعاصرة، > ثم إلى أداة في مثل: (بدأ في)]، > ثم إلى رابط نصيّ في مثل: (في الواقع)]، > ثم إلى ضمير في مثل: "في ناس محترم"، > ثم إلى متصل Clitic في مثل: "فين" في العربية المعاصرة.

فإذا كان المعجم التارِيخي للغة العربية معنياً بمتابعة كل صيغة لغوية عربية منذ ولوجها متن هذه اللغة وحتى انقراضها، وبمتابعتها أيضاً إذا انتقلت إلى لغة أخرى بالإضافة إلى توثيق وتاريخ جميع التَّغَيُّرات الَّتِي تلحق بها، فإنَّ نتائج بحوث الإنْحَاء في اللغة العربية لا بد أن تلقى عناية القائمين على بناء هذا المعجم.

(113) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.186.

اللغة العربية في معجم الإنحاء

أُفْدِمَ فِيهَا يَلِي وصْفًا موجَّزًا لِـمَعْجَمِ الرَّائِدَةِ فِي مَجَالِ الْإِنْحَاءِ مِبْيَانًا مَدِى الْإِهْتَمَامِ الَّذِي حَظِيتْ بِهِ الْلُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ دَاخِلَ هَذَا الْمَعْجَمِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ اهْتَمَامٌ ضَئِيلٌ جَدًّا مَقَارِنَةً بِلُغَاتٍ أُخْرَى، الْأَمْرُ الَّذِي يَنْبَهُ الْبَاحِثِينَ الْعَرَبَ إِلَى ضَرُورَةِ الْإِهْتَمَامِ بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَبِحَثِّهَا بِحَثًّا جَادًّا يَسْتَوْعِبُ أَسْسَ مَقَارِبِهَا النَّظَرِيَّةِ وَالْتَّطَبِيقِيَّةِ بِحِيثِ نِرَاعِي مِنْ خَلَالِهِ خَصْوصِيَّةِ تَطْوُرِ الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَنَتْيَاجِ لَهُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْانْضِباطِ الْعَلْمِيِّ كَيْ تَنْعَكِسْ تِلْكَ الْخَصْوصِيَّةُ عَلَى مَرَأَةِ الْمَسَارَاتِ الْإِنْحَائِيَّةِ (السَّالِيْمَةُ وَالصَّحِيْحَةُ) لِـصَيْغِ الْمَعْجمِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَزَّعَمُ أَنَّ إِنْجَازَ مَعْجَمِ الْإِنْحَاءِ فِي الْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ خَطْوَةٌ مَهْمَةٌ فِي سَبِيلِ صَنَاعَةِ الْمَعْجَمِ التَّارِيْخِيِّ لِـالْلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ وُجُودَ مَعْجَمِ الْإِنْحَاءِ - الَّذِي سَوْفَ أَعْرَضُ لَهُ فِي الصَّفَحَاتِ الْقَلِيلَةِ التَّالِيَّةِ - خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى مَكَانَةِ الْإِنْحَاءِ وَأَهْمَيَّتِهِ فِي الدَّرْسِ الْلِّسَانِيِّ بِصَفَةِ عَامَّةٍ وَفِي الصَّنَاعَةِ الْمَعْجمِيَّةِ بِصُورَةِ خَاصَّةٍ.

صَدِرَ مَعْجَمُ الْإِنْحَاءِ عَنْ جَامِعَةِ كَامْبِرِيَّدِجْ سَنَةِ 2002 بِتألِيفِ كُلِّ مَنْ بِرْنَدْ هِينِ (Bernd Heine) وَتَانِيَا كُوتِيفَا (Tania Kuteva) وَبِمُسَاعِدَةِ فَرِيقٍ ضَخِيمٍ أَبْرَزَ الْأَسْمَاءِ الرَّائِدَةِ فِي مَجَالِ دراسَةِ الْإِنْحَاءِ، تَحْتَ رِعاِيَةِ جَمِيعَيْهِ الْبَحْثِ الْأَلمَانِيَّةِ (Deutsche Forschungsgemeinschaft) (German Research Society)، وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْمَعْجَمُ يَتَضَمَّنُ أَمْثَلَةً مِنْ لُغَاتٍ وَلَهِجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ مُخْتَلِفِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ (وَصَلَ عَدْدُهَا إِلَى 500 لُغَةٍ) فَقَدْ تَمَّ عَنْوَنَتِهِ بِـمَعْجَمِ الْإِنْحَاءِ الشَّامِلِ «World Lexicon of Grammaticalization»، هَذِهِ الْأَمْثَلَةُ - بِحَسْبِ مَقْدِمَةِ الْمَعْجَمِ - نَتْجَاعِيْرِيْسِيْنِيْتَسْ (Lexicon of Grammaticalization) عَشَرَ سَنَوَاتٍ (1991 حَتَّى 2000م) مِنَ الْبَحْثِ وَالاستَقْصَاءِ فِي هَذَا الْمَجَالِ. وَيَهْدِفُ هَذَا الْمَعْجَمُ إِلَى أَنْ يَقْدِمَ لِلقارِئِ الْوَسِيْلَةَ الَّتِي يَفْهَمُ مِنْ خَلَالِهَا كَيْفَ تَرْتَبِطُ الْمَعْانِي النَّحْوِيَّةُ الْمُخْتَلِفَةُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ بِطَرِيقَةٍ صَحِيْحَةٍ وَمَنْظَمَةٍ بَعِيدًا عَنْ جَفَافِ التَّضْمِينَاتِ النَّظَرِيَّةِ لِـالْإِنْحَاءِ، وَبِتَعْرِيْفِ القَارِئِ بِثِروَةِ مَعْلَومَاتِ الَّتِي تَمَّ نَشَرُهَا خَلَالِ ثَلَاثَيْنِ سَنَةٍ قَبْلِ صَدُورِهِ بِشَأنِ أَصْوَلِ الصَّيْغِ النَّحْوِيَّةِ

وتطوراتها، وتمثل الجمهور المستهدف بهذه المعلومات في اللسانين الوصفيين والتاريخيين على السواء، فالنارئيُّون منهم سيجدون فيها آليات جديدة بعيداً عن منهج المقارنة وإعادة البناء الداخليّة (Internal Reconstruction) التي لم تأتِ - بحسب أصحاب هذا المعجم - بتائج مناسبة⁽¹¹⁴⁾. أمّا الوصفيُّون فسيجدون الأسباب التي تربط بين المعاني النحوية المختلفة، وتلك التي تقف وراء ذلك الترابط بين الصيغ النحوية والمعاني التي تعبّر عنها، وهذه الثاوية خلف امتلاك الصيغ اللغوية وظائف معجمية و نحوية⁽¹¹⁵⁾، هذا بالإضافة إلى أنَّ علماء النفس والأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع ربما يجدون في هذا المعجم سبيلاً جديداً للكشف عن أنَّ هذا النوع من السلوك الإنساني المسؤول عن تطوير الصيغ النحوية لا يختلف كثيراً عن السلوك الذي يلحظونه في مجال عملهم⁽¹¹⁶⁾. كذلك حوت مقدمة المعجم تعريفاً موجزاً بالإِنحاء وبنظريته وبالآليات التي ينطوي عليها⁽¹¹⁷⁾ ومن ثم بالمشكلات التي قد تواجه هذه النظرية وتلك التي واجهتهم في اختيار طريقة مناسبة لصياغة المدخل⁽¹¹⁸⁾. وتلا هذا عرض لقواعد استعمال المعجم وإرشاداته ببيان أنواع المعلومات وطريقة تعين المدخل واللغات والأمثلة والشرح⁽¹¹⁹⁾.

وقد تضمنَ المعجم حوالي (400) عملية من عمليات الإنحاء المختلفة التي جاءت مرتبة حسب الألفبائية الإنجليزية وفق ثنائية "المصدر - المهدف" (Source-Target Lexicon)، بمعنى أنَّ كل مدخل يبدأ بالمفهوم أو الوظيفة التي يؤدّيها عنصر (معجميٌّ / نحويٌّ) ما في أصل وضعه داخل اللغة ويتهيّأ بالمفهوم أو الوظيفة التي أصبح عليها بعد الإنحاء، ثم تُرتب هذه الوظائف ألفبائيًا

(114) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: op. cit. p.1.

(115) Ibid., p.1.

(116) Ibid., p.1.

(117) Ibid., p.2-5.

(118) Ibid., p.5-13

(119) Ibid., p.13-14.

باعتبار الوظيفة الأصلية، بعدها يقدم المعجم تعريفاً لهذه الثنائيّة / نوع الإنحاء، ثم يسرد مجموعة اللّغات أو اللّهجات التي توجد بها هذه الثنائيّة / نوع الإنحاء مشفوعة بالأمثلة والشواهد التي تمثل هذه العملية أو غيرها. ويصرح أصحاب المعجم باحتواء مداخله على نوعين من المعلومات؛ الأولى: مجموعة معطيات وبيانات من لغات مختلفة لا تجمع بينها - في الأغلب الأعم - فصيلة أو صلة، والثانية: تحليل لهذه المعلومات ممثلاً في تصنيفها وتفسيرها التاريخي⁽¹²⁰⁾، وقد تستلزم بعض المدخل قدرًا من التفصيل أو التعليق حسب طبيعة عملية الإنحاء التي يمثلها المدخل أو أحد طرفيه (المصدر والهدف) أو كلاهما.

أمّا عن نصيب اللغة العربية من هذا المعجم -إذا تمت مقارنتها بلغات ولهجات أخرى- فهو نصيب ضئيل جدًا، ولعل السبب وراء هذا يكمن في قيام المعجم على الدراسات التي تم إنجازها بالفعل حول الإنحاء والاعتماد على الأمثلة التي وردت في ثنايا هذه الدراسات وأغلبها لم يكن معنِّياً ببحث الإنحاء في اللغة العربية، ولم يكن معنِّياً باستنتاج الأمثلة من مظانها العربية وفق مدونة مناسبة، وربما يعود السبب أيضًا إلى أنَّ دراسات الإنحاء في اللغة العربية المكتوبة بلغات أجنبية - على أهميتها في التعريف بالظاهرة والتقييم المضني من أجل التماس أكبر عدد من أمثلتها الصحيح - دراسات ليس لها حظ كبير من الوفرة العددية ناهيك من قطاعية مثل هذه الدراسات، والجدير باللاحظة هنا أنَّ هناك دراسات عديدة حول الإنحاء في اللغة العربية صدرت قبل نشر هذا المعجم بكثير أَغفلها المعجم أو تغافل عنها، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك دراسة بلقيس النجار الصادرة سنة 1991⁽¹²¹⁾. وبمراجعة مصادر ومراجع هذا المعجم - وقد جمعت كل العناوين التي تتصل بصورة أو بأخرى بالبحوث التي قام عليها

(120) Ibid., p.13.

(121) see Balkees Al-Najjar 1991: Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (3-4): 665-75.

المعجم - لم أجد غير دراسة وحيدة أجرتها «هين»⁽¹²²⁾ سنة 1982 على اللهجة النوبية لم يكن الإناء أحد مفردات عنوانها، فذهبتُ أراجع مصادر مداخل هذا المعجم التي ذكرت اللغة العربية ضمن شواهدها فوجدتها دراسات معنية ببحث العموميات اللغوية أو بدراسة إحدى اللهجات العربية المعاصرة، وكان لللهجة النوبية النصيب الأكبر من البحث والدراسة إلى جانب لهجات العربية في السودان وسوريا وفلسطين، الواقع أن دراسات الإناء بوجه عام - وعلى اختلاف منطلقاتها النظرية - تستعين بالواقع اللهجي لاستكمال الصورة بشأن المسار الإنائي للعناصر المعجمية موضع بحثها. وعلى أيّة حال، كان من بين أوضاع العمليات الإنائية التي أشار إليها هذا المعجم ومثلت اللغة العربية أحد شواهدما يلي:

((Allative > Until (Temporal) - 1

تقوم هذه الثنائية (= عملية الإناء) على تحول الحالة المكانية التي تدل المفردة عليها (المصدر) إلى حالة زمانية (الهدف)، فمصدر هذه الثنائية (Allative) يشير إلى الحالة التي يتم من خلالها تعين متى حركة ما ووجهتها⁽¹²³⁾؛ كأن نقول: ذهبنا إلى البيت. بمعنى أنها تدل على الغاية. أمّا هدف هذه الثنائية أو نهاية مسار الإناء فتشير إلى حالة زمنية، ومثل المعجم لهذه الثنائية في اللغة العربية بحرف الجر (إلى)⁽¹²⁴⁾، واستعمل المعجم لفظ (العربية) دون تخصيص أو

(122) عنوان هذه الدراسة:

- Bernd Heine 1982: The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, 3) Berlin: Reimer.

(123) R. L. Trask 1993: A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. p.13. London and New York: Routledge

(124) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: op. cit., p.41.

ومن رجعه في هذا الشأن دراسة:

- Martin Haspelmath 1997: From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. p.67. Munich and Newcastle: Lincom Europa

وصف، ولكنَّه لم يقدِّم شاهدًا على هذا، ويمكِّنا التماس شاهد هذه الثنائيَّة في مثل قولنا: انتظرتُ إلى الفجر.

(Benefactive > A-Possessive) – 2

وتقوم الثنائيَّة على تحوُّل المفردة من تعين حالة المستفيد (شخص أو شيء) من حدث الفعل⁽¹²⁵⁾ إلى حالة الإضافة والملكيَّة⁽¹²⁶⁾، ومثلَ المعجم لهذه الثنائيَّة في اللغة العربيَّة بحرف الجر اللام (ل)⁽¹²⁷⁾، وكان شاهده على هذا من (العربيَّة المعاصرة) قوله: "لليت".

(Comitative > H-Possessive) – 3

وتقوم على التَّحوُّل من مفهوم المشاركة والمعية⁽¹²⁸⁾ إلى مفهوم الامتلاك⁽¹²⁹⁾، ومثلَ المعجم لها في العربيَّة بالحرف (مع)⁽¹³⁰⁾، ولم يرد شاهد على هذا، ولم يحدد المعجم وصفاً للعربيَّة كما فعل في العمليات الإنحائِيَّة الأخرى، ويمكن أن نمثلُ لهذه العملية بقولنا: سافرتُ مع محمد ومعي دينار.

(Same > Intensive Reflexive) – 4

وتقوم على التَّحوُّل من المطابقة إلى الذَّاتيَّة (نفس > ذات)، ومثل لها المعجم بالعربيَّة السُّورى⁽¹³¹⁾ رغم وجودها في لهجات عربيَّة مختلفة،

(Sit (to sit, to stay) > Habitual) – 5

وتقوم على التَّحوُّل من البقاء والاستقرار إلى الاستمرار، ومثل لها بتحوُّل (قاعد) العربيَّة السُّودانىَّة إلى (قى) في اللهجة النوبية، وعلقَ على هذا المسار بأنه

(125) Ibid., p.17

(126) Ibid., p.24.

(127) Ibid., p.54.

(128) Ibid., p.18.

(129) Ibid., p.24.

(130) Ibid., p.88.

(131) Ibid., p.261.

جزء من عملية عمومية يتم خلاها إِنحاء أفعال الأوضاع Postural Verbs إلى علامات تدل على استمرار الأحداث⁽¹³²⁾.

واللافت هنا أن هذه أمثلة قليلة جدًا لعمليات الإنحاء في اللغة العربية بوجه عام، كما أنها تضمنت فقط بعض التنوعات اللغوية ولم تتناول كامل التنوعات التي تتبع إلى العربية، ناهيك من احتياج هذه العمليات إلى إعادة فحص وفق مدونة مناسبة، فالحرروف التي تم التّمثيل بها ضمن العمليات السابقة لها - إن أردنا أن يكون مثل هذا المعجم جامعًا شاملًا - أن تكون جزءاً أساسياً في عمليات إِنحائية أخرى لم يأت المعجم على ذكرها، أو أن تشاركها مساراتها بعض العناصر النحوية والمعجمية الأخرى، أضعف إلى هذا ضرورة التّنبيه إلى أن هناك دراسات تلت تاريخ صدور هذا المعجم تناولت الإنحاء في العربية وأسفرت نتائجها عن بعض العمليات التي يمكن أن تُضاف إلى رصيد العربية من المسارات الإِنحائية، فدراسة "السيسي" 2010م - على سبيل المثال - جعلت الثنائيّة التالية:

Allative > Purpose

ومفادها التَّحُول من حالة مكانية إلى غاية أو غرض ممثلة بالحرفين: (اللَّام - لـ) و(حتى)⁽¹³³⁾ في قولنا: (1) غادر ليروت بالقطار، و(2) تسلق الجبل حتى القمة. ومعنى هذا أن مسار إِنحاء (اللَّام) هو نفسه المسار الخاص بـ(حتى) لانتهاهما - رغم اختلاف بعض التفاصيل الدلالية - إلى مجال دلالي مشترك هو القصد إلى تحقيق غرض ما، أضعف إلى هذا أن (اللَّام) التي كانت منذ قليل مثلاً للثنائيّة (Allative > A-Possessive) (رقم 2 فيها سبق) هي الآن طرف في عمليات إِنحاء أخرى مختلفة عمّا تم إثباته في المعجم الشامل.

وما ينبغي أن نقوله في هذا المقام إنّنا بحاجة إلى معجم للإنحاء في اللغة العربية يستتبع كامل صيغها المنحاة ومساراتها التَّطوُّرية المختلفة متخدًا من ثنائية

(132) Ibid., p.278-9.

(133) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.291.

"المصدر والمهدف" أساساً في توزيع هذه الصيغ على المفاهيم والدلّالات المختلفة التي مثلتها طوال رحلتها التَّطُورِيَّة تماماً كما هو الحال في معجم الإنحاء هذا. إنَّ أهمية وجود معجم كهذا في العربية تكمن في رسم صورة كاملة لتطور الصيغ وتحولاتها على المستوى المقولي والوظيفي مع التَّارِيخ لهذا التَّحُول أو ذاك، وهذا الأمر يمثل أحد أهداف المعجم التَّارِيخي، بمعنى أنَّ وجود هذا المعجم بصيغة محكمة قائمة على بحث دقيق لظاهرة الإنحاء قوامه مدونة واسعة ممتدة سيدعو القائمين على المعجم التَّارِيخي إلى إعادة النظر في كثير من المسائل المعجمية المتعلقة بهذه الصيغ.

وجملة القول: إنَّ لـ «الإنحاء» علاقة قوية بالمعجم التَّارِيخي للغة بصفة خاصة، وهي علاقة تفاعلية؛ بمعنى أنَّ الدراسات التي تتبع التَّغيرات التي تصيب ألفاظ اللغة وتراكيبيها وفق قواعد الإنحاء فترصد تحولها من ألفاظ معجمية إلى ألفاظ نحوية أو من ألفاظ أقل نحوية إلى ألفاظ أكثر نحوية أو تقف بها هذه الألفاظ عند مرحلة معينة من مراحل دورتها الإنحائية خلال فترة زمنية معينة من حياة أي لغة، فإنَّ مثل هذه الدراسة يمكنها أن تزود صانعي المعجم بقائمة مهمة من الكلمات - حتى وإن لم تكن قائمة كبيرة العدد - لابد من أن يقفوا أمامها ويتأملوها ويتبعوا مراحل ظهورها وتطورها آخذين بعين الاعتبار التَّفسيرات التي تقدمها دراسات الإنحاء بصفته فرضية قابلة للتَّفسير والتَّبرير، وعلى الجانب الآخر فإنَّ وضع معجم تارِيخي للغة العربية سيسيهم بدوره في تقديم مثل هذه الدراسات التي لا تزال في بداية طريقها إلى اللسانيات العربية.

المصادر والمراجع

(أ) مصادر ومراجع عربية

- أحمد العلوى 2016:

المعجم التارىخي للغة العربية وشروط قيامه، ضمن كتاب «المعجم التارىخي للغة العربية: رؤى وملامح»، إعداد متصر أمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولى لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص 49-68.

- أحمد مختار عمر 2002:

المعجم الموسوعي للألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرياض، مؤسسة سطور المعرفة، الطبعة الأولى.

- أحمد مختار عمر 2008:

معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطبعة الأولى.

- ثريا السكري عامر 2009:

ظاهرة الإناء في اللغة العربية: الفعل الناقص نموذجاً، تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيات.

- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني، ت 392هـ):

الخصائص، تحقيق عبد الكريم بن محمد، القاهرة، المكتبة التوفيقية، د.ت.

- جورج متري عبد المسيح 2016:

دور المعجم العربي في إحياء التراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، ضمن كتاب «المعجمية العربية، قضايا وآفاق، الجزء الثالث»، إعداد متصر أمين عبد الرحيم، وحافظ إسماعيلي علوى، إربد، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، ص 93-114.

- أبو حيّان الأَنْدَلُسِيّ 712هـ:
- الإِدْرَاكُ لِلْسَّانِ الْأَتَراكَ، مطبعة عامره، 1309هـ.
- الزّجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق ت 337هـ):
- الإِيْضَاحُ فِي عِلْلَ النَّحْوِ، تَحْقِيقُ مازن المبارك، بيروت، دار النَّفَائِسَ، الطِّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت 180هـ):
- الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، 1988.
- عبد الرّزاق بنور 2014م:
- التَّلَازِمُ الدَّلَالِيُّ وَالثَّرِيسِيُّ، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخي للغة العربية»، الدّوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الأولى، ص 111-172.
- عبد العلي الودغيري 2016م:
- التَّارِيخُ الْمَعْجمِيُّ وَالتَّطَوُّرُ الْلَّغُوِيُّ، ضمن كتاب "المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح"، إعداد متصر أمين عبد الرحيم، وحالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص 93-122.
- د. عبد المنعم السيد جدامي 2016م:
- المشكلات الثقافية في معجم إلياس بُقطر، ضمن كتاب «المعجمية العربية: قضايا وآفاق - الجزء الثالث» إعداد متصر أمين عبد الرحيم، وحافظ إسماعيلي علوى، إربد، دار كنوز المعرفة، الطبعة الأولى، ص 311-378.

- علي القاسمي 2014:

صناعة المعجم التّارِيخي لِلّغة العَرَبِيَّة، بِيرُوت، مكتبة لُبْنَان نَاسِرُون، الطّبعة الأولى.

- علي القاسمي 2016م:

معالجة قوانين التّغّير اللّغويّ في المعجم التّارِيخي، ضمن كتاب "المعجم التّارِيخي لِلّغة العَرَبِيَّة: رؤى وملامح"، إعداد منتصر أمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص 159-196.

- مكتب تنسيق التّعريب 2002م:

المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيّات - سلسلة المعاجم الموحدة رقم (1).

- ابن منظور (أَبُو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت 711هـ):

لِسان العرب، بِيرُوت، دار صادر.

(ب) مراجع أجنبية

- Aaron David Rubin 2004:

Studies in Semitic Grammaticalization. PhD Thesis. Harvard University.

- Antoine Meillet (Ed.) 1948:

Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) Paris: Champion.

- Balkees Al-Najjar 1991:

Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (3-4): 665-75.

- Bernd Heine & Mechthild Reh 1984:

Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. Hamburg : Helmut Buske.

- Bernd Heine & Tania Kuteva 2002:

On the Evolution of Grammatical Forms. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. Oxford University Press.

- Bernd Heine & Tania Kuteva 2004:

World Lexicon of Grammaticalization. Cambridge University Press.

- Bernd Heine & Tania Kuteva 2005:

Language Contact and Grammatical Change. Cambridge University Press .

- C. H. M. Versteegh 2006:

Arabic Linguistics Tradition. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.1: 434-40. Amsterdam: Elsevier.

- Christian Lehmann 2011:

Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (29): 9-26. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf.

- Christian Lehmann 2015:

Thoughts on Grammaticalization. 3rd Ed. Berlin: Language Science Press.

- Elizabeth C. Traugott 2002:

From Etymology to Historical Pragmatics. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

- Frederick J. Newmeyer 1998:

Language Form and Language Function. MIT Press .

- Hana Zabarah 2012:

The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.

- Henning Andersen 2008:

Grammaticalization in a Speaker-Oriented Theory of Change. In Pórhallur Eypórsson (Ed.): Grammatical Change and Linguistic Theory. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

- Ian Roberts 2010:

Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. In Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

- Ilse Wischer 2000:

Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

- Jerzy Kurylowicz 1975:

Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) Munich: Wilhelm Fink.

- Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994:

The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Languages of the World. Chicago and London: University of Chicago Press.

- Joan Bybee 2003:

Cognitive Processes in Grammaticalization. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.2. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc.

- Joan Bybee & Joanne Scheibman 2007:

The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. In Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press.

- Joan Bybee 2009:

Grammaticalization: Implications for a Theory of Language. In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of

Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. 345-355.

- John van der Auwera 2002:

More Thoughts on Degrammaticalization. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

- Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007:

A Glossary of Historical Linguistics. Edinburgh University Press.

- Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet 2009:

The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.44. Mouton de Gruyter.

- Mohssen Esseesy 2007:

Grammaticalization. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (191-8) Leiden, Boston: Brill.

- Mohssen Esseesy 2009a:

Reanalysis. In Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (37-43) Leiden, Boston: Brill.

- Mohssen Esseesy 2009b:

Semantic Bleaching. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (160-4) Leiden, Boston: Brill.

- Mohssen Esseesy 2010:

Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study.. Leiden: Brill.

- Muriel Norde 2012:

Lehmann's Parameters Revisited. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

- Nikolaus P. Himmelmann 2004:

Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?.
p.21. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.

- Östen Dahl 2004:

The Growth and Maintenance of Linguistic Complexity.
Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

- Paul J. Hopper 1996:

Some Recent Trends in Grammaticalisation. Annual Review of Anthropology, vol.25:217-36.

- Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003:

Grammaticalization. 2nd ed. p.1-2. Cambridge: Cambridge University Press.

- R. L. Trask 1993:

A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. London and New York: Routledge.

- Roger Lass 2000:

Remarks on (Uni)dierctionality. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.

- Stephen G. Alter 2001:

The Linguistic Legacy of William Dwight Whitney. in Sylvain Auroux et al. (Eds.): History of the Language Sciences. Vol.2. pp.1923-31. Berlin, New York: Walter de Gruyter.

- Von David Wilmsen 2011:

On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. Orientalistische Literaturzeitung 106 (6): 1-9.

(ج) مراجع وردت ضمن مراجع البحث الأساسية

- Bernd Heine 1982:

The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, 3) Berlin: Reimer.

- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991:

Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

- Colette Craig 1991:

Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.2: 455-92. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

- Elizabeth Closs Traugott 1982:

From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. 245-71. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

- J. M. Anderson 1971:

The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press.

- James Li 1977 (Ed.):

Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

- Martin Haspelmath 1997:

From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. Munich and Newcastle: Lincom Europa.

- S. Svorou 1993:

The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.